

روايات مصرية الجنب



30

أطورة

ما وراء الطبيعة بعد منتصف الليل ..

رياحين

www.liilas.com/vb/

ما وراء الطبيعة

روايات تعيس الأتصال
عن طريق الفصول والقصص الأخرى

روايات مصرجة للجيب

أسطورة بعد منتصف الليل ..

نحن نتفطارك .. لو أن صديقك

يتحول إلى مسخ فلا ترد .. واتصل

بنا .. لو أنك ترى ضوءاً قريباً في دار جيرانك

الذين هاجروا عند أعوام .. فاتصل بنا .. لو تحرك

شيء ما في قبو دارك ليلاً .. فاتصل بنا .. لو

تبدل وجهك في المرآة إلى وجه آخر تعرفه ..

فاتصل بنا .. صحيح أن الوقت متأخر

لكن لا ترد .. نحن بانتظارك

مساهرون



د. احمد خالد توفيق

www.liilas.com/vb3

العدد القادم
استورتها 1

المؤسسة العربية الحديثة

العلم في عصر
وتغيراته بالقرن العشرين
في سائر الدول العربية والعالم

مقدمة ..

فرغت من مطالعة بعض مجلات أمراض الدم التي
جاءتني بالبريد اليوم .. لشد ما يهزون الطب بخطوات
مذهلة ! إن التوقف عن الاطلاع يوماً واحداً يعني أن
يسبقك الآخرون بعام كامل ..

مرة أخرى تسألونني عن جدوى الدراسة لعجوز
عنى المعاش ، يحيا وحيداً ويخطو إلى القبر بخطوات
تمثل خطوات الطب .. إن لم تكن أسرع ..

أقول إنني أحترم العلم حقاً .. والعبء الحق عندي
هو من كفا عن التعلم .. إن دنو الموت يضايقتني حقاً
لأنني لن أعرف أبداً هل توصل (مونتانييه) الفرنسي
إلى إيجاد مصن (الإيدز) أم لا ؟ وهل صار لقاح
البلهارسيا صالحاً للاستخدام التجاري ؟ وهل يمكنهم
تقسيم الكبد المزروع إلى ستة أجزاء تقاسب ستة
مرضى ؟

أنتم - بعون الله - ستعرفون .. أما أنا فاحتمالات
ذلك واهية جداً .. لهذا أكتفي بأن أعرف آخر شيء
عرفوه ... حتى آخر دقيقة قبل موتي ..
الآن حان وقت الثرثرة

نقد أرحمتكم منى - إلى حد ما - ثمانية أعداد كاملة ..
منذ أن زار (المينوتور) في متاهته .. وحتى هلك
(الجاثوم) في مخبئه ..

البعض لم يحب هذه الإجازة .. والبعض أحبها ..
لكنى - كما قلت مراراً - أظن غيباً لأرداء حباً ..
وخير لى أن يقال لماذا لا يكتب ؟ من أن يقال : لماذا
يكتب ؟

سأعود لكم من جديد .. وعسى أن يكون قراراً أصائباً ..
لكنى سأكرر موضوع الخطابات هذا كلما تراكت عندي ..
إن الجودة والتشويق هما غرض السلسلة ، ولا دخل
لشخص معين بهذا الغرض .. وإلا لصار اسم السلسلة
(مذكرات رفعت) أو (أبو الرفاع يحدثكم)

القصة القادمة هي عدد خاص جداً .. إن حلقة
الربع الثالثة توشتك على البدء .. فهل جميعكم هنا ؟
لا بأس .. في هذه المرة لن أحكى شيئاً .. بل
سأستعمل شريط تسجيل قديماً عندي .. يعود إلى
العام ١٩٦٩ و ١٩٧٠

ومعاً منستمع إلى حلقات مختارة من برنامجكم ..
(بعد منتصف الليل) ...

الصفحات التالية هي تفريغ لحلقات مختارة
من البرنامج الإذاعي (بعد منتصف الليل) ،
الذي كان يُذاع في الواحدة صباحاً أسبوعياً ،
ونال شعبية كبيرة في عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ ،
ثم منعت الرقابة إذاعته بسبب تأثيره السلبي
على نفسية الأطفال .

تقديم : شريف السعدلى

الهندسة الإذاعية : أسامة نجم .

إخراج : جلال القصاص .

(أخيراً تخفت الموسيقى ونبدأ الحلقة) ...

* * *

مقدمة البرنامج الثابتة

صوت صرير باب يفتح ببطاء ..

ثم صرخة امرأة ..

بعدها تبدأ موسيقا فاخرة متوجسة ..

ويدوى صوت المذيع هادراً بلهجة منذرة :

بعد منتصف الليل

عزيزى المستمع ..

هل لديك خبرة مخيفة بعالم ما وراء الطبيعة ؟ هل
هناك خطر معين يطاردك ؟ هل ترى أشياء مريبة
لا يمكن تفسيرها ؟ لا تتردد .. ارفع سماعة الهاتف
واطلب رقمنا فوراً .. سنصغى إليك .. ونحاول حل
مشكلتك وإزالة مخاوفك .. مع ضيفنا الدكتور (رفعت
إسماعيل) ..

عزيزى المستمع .. أنت لست وحدك !

(تتعالى الموسيقى من جديد .. ويبدأ ذكر أسماء

الفنيين) .

بعد منتصف الليل

(صوت ضحكة .. ثم صوت [ششش !] يفتح
صاحب الضحكة من الاسترسال)
شريف :

أعزائي المستمعين .. يسعدني أن ألتقي معكم في
هذه الساعة المبكرة من صباح الجمعة .. أعرف أن
أكثركم يقاوم النعاس الآن إن لم يكن قد نام فعلاً ..
لكني أعددكم بأنكم ستفتحون عيونكم إلى أقصى اتساع
لها .. فهذا البرنامج يتحدث عن كل ما هو غريب
وغير مأثوف .. وله مزية أخرى مهمة هي أنكم أنتم
من يصنعون الإشارة والطرافة .. إن قصصكم هي
وقود آلة الرعب التي لن تكف عن العمل من الآن
فصاعداً ..

يسرني أن أقدم لكم ضيفاً دائماً لهذا البرنامج ..
(رفعت إسماعيل) الذي بدأ يحرز شهرة لا بأس بها
بعد ما كتب وقيل عن خبراته في عالم ما وراء
الطبيعة .. مرحباً بك يا دكتور ..
رفعت :

مرحباً بك يا (شريف) ..

شريف :

أرجو ألا تكون قد أثقلنا عليك بالسهرة إلى هذه
الساعة ؟

رفعت :

إنني وطواط أسمى لا يفتش إلا ليلاً .. والليل على
كل حال مناسب تماماً لما ننوي التحدث عنه .. ثم إن
له مزية أخرى .. من المؤكد أن الأطفال جميعاً قد
ناموا ..

شريف :

بعضهم لم يفعل ..

رفعت :

هذا البعض لا يمكن إقزاعه على كل حال .. فهو

مرعب بما يكفي ..

شريف :

(يضحك في مجاملة) .. هاها ! يقولون يا دكتور
بلك لا تترك سرّاً غامضاً أو مرعباً إلا وتقحم نفسك
فيه إقحاماً ..

رفعت :

أعترف بأنني لا أتعد البحث عن المتاعب .. يقول

الشاعر الألماني (فلهلم بوشه) : لا أحد يشتري
الفيران .. الفيران تهرع من تلقاء نفسها إلى دارك !
نقد حاولت دوماً أن أكون شخصاً عديماً كالآخرين
لكنى فُتلت .. اعتقد أنني مصاب بنوع خاص من
النحس ..

شريف :

وهل حقاً تعتبر نفسك هادماً للأساطير ؟

رفعت :

لا أفن .. كنت أعتبر نفسي كذلك يوماً ما .. ثم
بدأت أوقن أنني لا أعرف شيئاً عن أي شيء .. إن
الحياة غامضة حقاً .. والتجريب هو المقياس الوحيد
لمعرفة كنه أسطورة ما .. لكنى ..

شريف (مقاطعاً) :

حتى لو كانت الأسطورة ؟

رفعت (في ضيق) :

.. لا تقاطعنى .. لكنى لم أصادف حتى اليوم أسطورة
تصطدم بالدين وتثبت صحتها .. قد تصطدم بالعلم
وهذا يحتمل الجدال .. لكنها لا تصطدم بالدين أبداً إلا
واتضح أنها أكذوبة ..

شريف :

ما هو في رأيك الهدف المرتقب من برنامجنا هذا ؟

رفعت :

لا هدف سوى أن أحصل أنا على مكافأة حضوري
هنا .. وتحصل أنت على راتبك .. إنه هدف لا بأس
به أبداً .. لكن - إذا حاولنا أن نتناسى الماديات - فإنه
يوجد هدف مرموق في حد ذاته هو أن نشعر بالرعب ..

شريف :

هلا أوضحت لنا هذه النقطة بشكل مفصل ؟ ما هي
جدوى أن نخاف ؟

رفعت :

يقول مخرج أفلام رعب شهير : إننا نحب أن نجرب
أسوأ الأشياء على الإطلاق .. حتى إذا انتهى العرض
شعرنا بمرور عزم لأننا ملزتنا أحياء وبصحة جيدة ..
فهذا يشعرنا بالتفوق وقدرتنا على الاستمرار ..

شريف :

أعترف بأنها نظرية عسيرة التصور ..

رفعت :

يسمون المبدأ كله باسم Catharsis أو (تطهير) ..

فأنت حين ترى الرعب تغسل من مخاوفك الداخلية
الكامنة .. والأمر على كل حال لا يخلو من صدق ..
فكل الأطفال يعشقون قصص (الغولة) وثرثرة الأمهات
عن (العاوى) .. أفلام الرعب تحقق أعلى الإيرادات ..
وبين الأضباح فى مدينة الملاهى مكتظ دائما .. بل
إننى أرى هذا الميل فى أشياء بسيطة .. فى زحام
المستراحين حول حاث سيارة .. وفى كل من
المتجمهرين نزعة ماسوشية خفية لتعذيب النفس
برؤية مشهد الضحايا المشوهين .. بعدها يعود كل
منهم إلى دلوه وقد تم تطهيره (*) !

شريف :

وهل تختلف ميول الجمهور حسب المتغيرات
الاجتماعية ؟

رفعت :

يقال إن خوف أمريكا من الغزو الشيوعى فى
الخمسينات - الفترة التى يسمونها بـ (المكارثية) -
أدت لانتشار قصص الغزو الخارجى والاستحواذ

(*) راجع لكتيب العاشر (حلقة الرعب) حيث مناقشة لنشر
تفصيلا عن عشق الرعب ..

الشيطانى وتيمة (هل أمك هى أمك حقاً ؟) .. إنها
تيمة شهيرة ومفزعة .. والمعنى واضح : هل يأتى
يوم يتحول فيه جيرارك وأهلك إلى شيوعيين ؟
شريف :

هل تعنى أن صناع هذه القصص كانوا يريدون قول
هذا ؟

رفعت :

لا بالطبع .. لقد قالوا هذا دون أن يعنوه .. لقد
تحركوا لا شعورياً فى تيار الوجدان المحرك للمجتمع ..
وقدموا أعمالاً فنية تكلمت تلقائياً .. إن الشيوعيين
خطر داهم على المجتمع الأمريكى .. لكنهم - وهذا
المخيف - يريدون مثلنا بالضبط

شريف :

هل ثمة أمثلة أخرى ؟

رفعت :

يقولون - مثلاً - إن قصص مصاصى الدماء تنتشر
حين يسود الرخاء والاستقرار الاجتماعى .. فى حين
تسود قصص (الزومبى) و (المذعوبين) فترات
القلق والتضخم والثورات .. إن مصاصى الدماء فى
القصص يكونون متأنقين أثرياء ورائين إلى حد كبير ..

أما المذعوب فهو رمز للطبقة العاملة المطحونة ..
وكذلك الزومبي هو في وضع اجتماعي أكثر سوءاً ..
قصص الأشباح تزدهر كلما ازداد الواقع ضيقاً
وبؤساً .. فهي وسيلة لا بأس بها للفرار من الواقع ..
شريف :

هل الرعب هو فقط مصاصو الدماء والمذعوبون
والأشباح والبيوت المسكونة ؟
رفعت :

بالطبع لا .. إن الخيال الإنساني وغد لا يهدم أبداً ..
وحيث يوجد خيال يوجد خوف .. والرعب يبدأ معنا
منذ ميلادنا .. هل تذكر جولة المعلم بين الصلوف في
المدرسة الابتدائية ليختار طلبة عشوائيين ، يسألهم
سؤالاً عسيراً ؟ العصا في يده .. وخطواته تدنو منك ..
وأنت تحاول ألا تنظر نحوه حتى لا يراك .. إنه
يدنو .. قلبك يوشك على التوقف .. وفجأة تشعر بيده
الغليظة على كتفك .. وصوته الصارم يقول : والآن
لنر ما سيصيب به هذا الحمار !

شريف :

يا للهول يا د . (رفعت) ! إنك قد أعدت لي الرعب
من جديد !

رفعت :

هكذا ترى أن الرعب ليس هو بالضرورة التومبيات
العائدة للحياة ..

شريف :

أنا أتحدث عن الرعب الميتافيزيقي أسامنا ..

رفعت :

حتى هذا الرعب له أبواب لا تنتهي .. أبسطها
ما تشعر به حين تعود لدارك - وأنت تعيش وحيداً -
لتجد أن جهاز التلفزيون مفتوح أنت تعرف جيداً أنك
أغلقته قبل خروجك ! عندها تشعر بهذه الرجفة
الغامضة .. وتغمغم في قلبك : ثمة شيء ما يحدث هنا !
شريف (في قلبك) :

الواقع أنني مستمتع بهذا الحديث .. لكننا بانتظار
المكالمة الهاتفية الأولى .. ولا أرى لماذا تأخرت إلي
هذا الحد ؟ إن المستمعين لم يألفوا البرنامج بعد ، لكنهم
سيتمساقون بعد قليل على الاتصال .. ثقي بهذا ...

رفعت (في استرخاء) :

أنا نست قلناً .. ما دمنا مستمعين أجرى في جميع الظروف ..

شريف :

دعني أسألك يا د . (رفعت) .. يقولون إنك إنسان

ملون حقاً .. وتكره الإصغاء إلى ترثرة الناس .. فكيف
قبلت أن تأتي معي ها هنا ؟

رفعت (يضحك) :

أنا كما قلت .. لكنني وجدت فيك أشياء كثيرة أفقر
إليها يا (شريف) .. فأنت شاب ووسيم .. ولامع ..
إنك ذلك الشاب الذي كنا نراه مرسوماً في كتب القراءة
القديمة ، بنظافته وشعره المصفف وأظفاره المقلمة وجلوسه
معتدل الظهر على (القمطرة) .. ثم إنك متحمس ..
وأنا لا أفهم كيف يتحمس الناس لأي شيء .. لهذا كان
أقوى مني أن أرفض عرضك .. فأنت مخلوق جدير
بدراسته كخلد الماء وذبابة (تسي تسي) ..

شريف :

لا أترى أهذا مديح أم سباب أقاضيك عليه .. لكنني
أشكرك على كل حال .. بالمناسبة : ما هي (القمطرة) ؟

رفعت :

يبدو أنه المكتب .. كانت كتب القراءة القديمة تحتم
أن (تضع الحلة فوق المثجب) و (تضع القرطاس
فوق القمطرة) .. ثم (تتبلغ ببعض الخشنكان) ..
أي تأكل البسكويت !

شريف :

لا أترى .. هل ستكون الحلقة الأولى كلها حواراً
بيننا ؟ إنني أنتظر المعالمة الأولى بفرغ الصبر ،
وأعتقد أنها لن تأتي اليوم .. ربما .. .
(صوت رنين الجرس الملح) .

لحسن الحظ ! الحمد لله على أن هناك واحداً ساهراً
في الجمهورية .. ألوه ؟

صوت فظ :

.. لقد فعلتها !

شريف :

فعلت ماذا بالضبط ؟

الصوت :

كل ما أمرت به ! كان صراخهم شنيعاً لكنني لم أرحمهم !

شريف لـ (رفعت) :

تبدو بداية طيبة حقاً .. مارأيك ؟

رفعت (في مثل) :

إنني لشديد الحماس .. لكنني لا أعرف كيف أظهر

حماسي ..

شريف :

هلاً عرفنا من المتكلم من فضلك ؟

الصوت :

كيف ؟ ألا تعرفنى يا (جودة) ؟

شريف فى (امتعاض) :

(جودة) ؟

الصوت :

أنا الحاج (ششماوى) .. لقد كسبت القضية .. ونحن
أتنازل عن حقى مهما حدث .. كما أمرتنى بالضبط ..
إن الحلوان عندى .. فقطعة الأرض هذه

شريف :

لحظة .. لحظة .. يا حاج (ششماوى) ! الرقم
خطأ .. هذا رقم الإذاعة .. إتنا

الحاج :

معذرة .. فصوتك هو صوت (جودة) بالضبط .. كليك !
شريف (فى خيبة أمل) :

ظننت أننا سنبدأ العمل .. ليست قضايا الأراضى
ملائمة لهذا البرنامج ..

رفعت :

كل بيكى على نيلاه .. وبالتأكيد يتساءل الرجل عن
سر بقاء هذا المجنون ساهراً بعد منتصف الليل مادام
ليس هو (جودة) ..

(رنين الهاتف من جديد) ..

شريف :

عسى ألا يكون هو من جديد .. ألو .. برنامج
(بعد منتصف الليل) .. هل تريد سرد مشكلتك للدكتور

(رفعت إسماعيل) ؟

صوت طفل :

أمس جاءت طاطط (فانى) عندنا .. وكان (ميدو)
معها !

شريف (فى رقة مصطنعة) :

من تريد يا صغيرى ؟

الطفل :

لقد سرق (ميدو) مسلسلى .. لكنى ركلته فى مؤخرته ..
شريف :

ألو ! ضع السماعة حالاً أيها الطفل المتشد ..
يا صغيرى العزيز !

صوت امرأة :

معذرة يا أستاذ .. عيب يا (زيزو) ! معذرة
يا أستاذ .. فابنى لا يأكل إلا إذا تركت له الهاتف

ليعاكس من يريد .. ويختار أرقاماً عشوائية !

شريف :

لا عليك .. إنه يملك حاسة إعلامية لا بأس بها ..
(كليك) ..

رفعت :

ربما كان تركه ليموت جوعاً حلاً أكثر إغراء .. إن بعض الأطفال يكونون مرعبين أكثر من كل ما تنوى الكلام عنه ..

شريف (في ضيق) :

مكالمتان خاطئتان ! إن هذا يفوق قوتين المصادفة ..
رفعت :

لا شيء يتم بسهولة معي أبداً .. ولعل كونى أتوقع
الأمسوا دائماً قد جعل الحياة بالنسبة لى حثداً من
المفاجآت السيرة ! فالأمور لم تكن بهذا السوء الذى
حسبتها به قط ..

(رنين جرس الهاتف) ..

شريف (متوجساً) :

هذه المرة .. هذه المرة .. لو لم يكن مستمعاً
فلسوف تنهار أعصابى .. ألو ! من يتحدث ؟
صوت امرأة :

أنا (لهلة) .. أليس هذا برنامج (بعد منتصف الليل) ؟

شريف (يتنهد) :

بالتأكيد يا سيدتى ..

لهلة :

أحاول الاتصال منذ عشر دقائق كاملة دون جدوى ..

شريف :

كانت هناك مكالمتان قبلك عما تعلمين .. لا بد أن

المذيع جوارك ؟

لهلة :

للأسف لا .. هل د. (رفعت) معك ؟ أخيرنى البواب

إنه هنا ..

شريف :

حتماً .. إنه يسمع ما تقولين ..

لهلة :

قل له إنه نسى صنوبر الماء مفتوحاً ، وأغرقت المياه

شفتته ! لقد اضطررنا إلى تهشيم باب الشقة .. أنا

زوجة الأستاذ (زكريا) ساكنة الشقة السفلى .. كليك !

شريف (في نفاذ صبر) :

هل ترى أن تذهب لتتخذ مجادة الصالون ؟

رفعت :

لا داعى .. لقد فات الأوان .. وهم قد اقتحموا الشقة



الحلقة الأولى

الزوج الذي عاد

تحكيها : مجهولة الاسم

إغلاق الصنبور .. فلا فائدة من إفساد البرنامج ..
شريف :

يخيل إلي أنه قد فسد بالفعل .. إن النح ..
(رنين جرس الهاتف) ..

أنو ! من معي ؟
صوت امرأة :

هل هذا هو برنامج (بعد منتصف الليل) ؟
شريف :

حتمًا يا سيدتي .. هل لي أن أعرف من أنت ؟
المرأة :

لا أنوي الإفصاح عن ذلك .. إن اسمي لا يعني أحدًا
سواي .. وعلى كل حال يمكنك أن أحكي قصتي مباشرة ...
شريف :

كلني أذن مصغية .. وضيقتنا كذلك
المرأة :

حسن .. تبدأ قصة كما يلي

★ ★ ★

المرأة :

أصارك القول يا أستاذ (شريف) إننى خائفة ..

شريف :

أرجو أن تتجاهلى وجودى وتوجهى الحديث إلى

د. (رفعت) مباشرة .

المرأة :

حسن .. أنا خائفة يا د. (رفعت) .. إنه ذلك

الخوف الذى لا يوجد مصدر عقلاى له .. فحينما تخشى

الفران تربي قظاً .. وحينما تخشى اللصوص تغلق

نوافذك أو ترخص مسدساً .. لكن حينما يكون خوفك

غير ذى وجود مادي يكون اجتنابه شبه مستحيل ..

رفعت :

أفهم تماماً ما تقولين يا سيدتى .. إن الخوف من

الغد مثلاً لا حل له ..

المرأة :

هكذا أنت تفهمنى .. والآن أحدثك عن نفسى بشكل

أفضل .. أنا امرأة فى الأربعين من عمري حاصلة

على شهادة متوسطة .. ومتزوجة منذ عشر سنوات ..

لكنى لم أرزق أطفالاً ..

الحلقة الأولى

الزوج الذى عاد

تحكيها مجهولة الاسم

« لقد ارتكبنا خطأ جسيماً يا سيدتى .. خطأ
من النوع الذى لا يكفى الندم لإصلاحه .. خطأ
لا يكفى إغلاق نوافذنا وأبوابنا ليلاً كي نتفادى
عواقبه ! »

رفعت :

يبدو لي أسلوبك في الكلام متقفا .. إنك تعرفين جيدا ما تتحدثين عنه ..

المرأة :

لأنني علمت نفسي بنفسى .. ولا تنس أن (العقد) لم تكن معه شهادات سوى الابتدائية .. إن التعليم يختلف كثيرا عن الثقافة .. والذكاء يختلف كثيرا عن كليهما .. لقد تزوجت في الثلاثين من عمري .. كان على أن أعنى بأمرى وشقيقتى ..

إنها تلك القصة المكررة دائما : الأم العجوز لا تكف عن نصح ابنتها بالتزواج (لكي أطمئن عليك يا بنيتى قبل أن أموت) .. والفتاة تقول في إباء وشمم معزولين بلذة استشهاد لأمك فيها :

(لا أريد الزواج يا أمى .. فلا ينقصنى شيء) .. لكنها تعرف أن أمها تعرف أنها لا تعنى ما تقول .. وأنها فتنة .. وأنها تشعر بشمعة العمر إذ تحترق ..

إن البنات لا يقلقن على تأخر زواجهن بسبب حاجة فسيولوجية معينة أو خوفهن من العنوسة أو شوقهن للأمومة .. اعتقد أنهن يقلقن لسبب واحد

ياد .. (رفعت) .. هو رؤيتهن لصديقاتهن يتزوجن واحدة تلو الأخرى ..

هل تعرف ذلك الشعور الممض ؟ لحظة استلام بطاقتك من السجل المدني أو استعادة كراسيتك في المدرسة الابتدائية ؟ الصوت ينادى واحدة تلو الأخرى .. الكل يسترد أوراقه .. تدريجياً تجد نفسك واقفا وحدك بانتظار من يناديك بدورك .. ذلك القلق الرهيب والشعور بأنك قد سقطت سهواً من فوق مائدة الحظ .. وأن أحداً لن يبحث عنك تحتها !

هل تفهمنى ؟ لكم من حفل زفاف حضرت ا وكم من صديقة فارقت .. كأتنى أشيع جنازتها وأعود منهكة من قبرها .. لكن عزائى الوحيد كان دائما هو أننى اخترت ذلك بمحض إرادتى ..

وفي الصباح كنت أعمل سكرتيرة براتب ضئيل فى مكتب حكومى .. حيث لا أفعل أى شيء ولا أتال أى أجر على هذا (اللاشيء) ..

وفي المساء كان البيت ولا شيء سواه .. أعمال البيت والمذاكرة لأخوتى .. و (قرقرة) اللب على الأريكة أمام شاشة التلفزيون جوار أمى ...

وغداً يوم آخر ... ليس أكثر مللاً ولا أقل ..

ثم ظهر الحاج (صبحي) ..

إن الاسم مزيفاً طبعاً ..

رجل في الخمسين من عمره طبعاً .. تاجر يكسب كثيراً دون أن يكلفه الأمر سوى بعض المكالمات الهاتفية والشجار بصوت عال .. ويبدو أنه بدأ حياته مع هؤلاء الذين يزايدون في المزادات دون نية شراء حقيقية .. ومن ثم يبادر الخصوم إلى دفع حلووان له كي يتركهم وشأنهم ... أردت أن أقول لك إنه قادر على المتاجرة بكل شيء وأي شيء ..

رأى الحاج - الذي لم يتزوج بعد لانهماكه في الإثراء - في أثناء زيارته لمكتبنا الحكومي .. هنا يجب أن اعترف لك يا د. (رفعت) بأنني لست قبيحة .. بلني من النوع الذي يصفونه في إعلانات الزواج بـ (مسراء ملفوفة القوام) حاصلة على مؤهل متوسط ، وتقدم الحياة الزوجية) ..

رفعت :

أعرف هذا السخف .. ولا أدري كيف يكتب رجل محترم عن نفسه أنه (أبيض اللون مثقف) ١٢

المرأة :

كان لا بد أن يقع الرجل في هواي .. كلهم يفعلون هذا ثم يحجمون .. كانوا في البداية يحجمون لأنهم يعرفون أنني سأرفض .. ثم صاروا يحجمون لأنهم لا يعرفون سر عدم زواج الفتاة لا بأس بها حتى سن الثلاثين .. لكن الحاج كان يعرف ما يريد بالضبط ..

ولم ألبث أن وجدته في صلتون دارنا المتواضع .. ولم يكن سيلاً إلى هذا الحد .. فهو لا يرتدي جلباباً أو يصبغ على السجادة على الأقل .. كما أنه لم يكن يستعمل السباب أكثر من اللازم .. لم يكن يبدو كطرسان الأحلام طبعاً .. ولم يكن يركب حصاناً أبيض لكنه يركب سيارة فاخرة .. ثم .. أنت تعرف كيف تتم أمور كهذه .. يسمونه (النصيب) .. وأنا لا أجد اسماً أفضل للحظة تخلى الفتاة عن إصرارها على الرفض .. لا بد من لحظة ما .. ولا بد من شخص ما يكون موجوداً في هذه اللحظة .. هذا هو نصيب الفتاة ..

شريف :

معذرة على مقاطعتي إياك .. لكن لو كنت تظنين

هذا برنامج (رسالة) (*) الخاص بالمشكلات الاجتماعية فنحن

رفعت :

دعها تتكلم يا (شريف) .. إنها تضعنا في الجوّ ..
ولا أعتقد أنك ستجد من يبدأ معالمتها قائلاً : إن هناك
مصااص دماء في حمام شفتى ..

المرأة :

رأيت أطلت الكلام .. وإني لأعذر .. المهم أننا
تزوجنا .. وأنا عشنا حياة لا بأس بها أبداً .. ثم
بيخل بشيء وبر بوعده في رعاية إخوتي ووالدتي ..
فقط لم يرزقنا الله بأطفال ..

وكنل رجل شرقي أبي كبرياؤه أن يسمح له بإجراء
الفحوص اللازمة ، وكنت أنا الضحية التي يمكن
إرغامها على إجراء كل شيء عرفه الطب ولم يعرفه ..
صرت فأر تجزب لا يمر على يوم دون إجراء نفع
تأبيب أو أشعة على الرحم أو .. أو ..

بدأ يتحدث عن الزواج من جديد .. بدأ يتحدث عن

(*) برنامج (رسالة) هو الجزء الشرعي لبرنامج (أريد حلاً)

الدائى ..

قطار العمر الذي يجري دون طفل يحمل اسمه (كآته
اسم طارق بن زيد) .. بدأ يتحدث عن حاجة المرأة
إلى ابن يقف إلى جواره في شيخوخته ليتهمه
بالعقوق ..

وكانت أمي هناك ...

وبالتطبع كانت لنا زيارات عدة إلى ألعن مجموعة
من التصايين ذوي (المرّ اليباع) إياهم .. كلهم
ملتحدون يجلسون في قاعة يفتح البخور هواءها ..
وكلهم يتحدثون عن (عمل) مدفون على عتبة دارى
أو في حثية فراشى أو في مقبرة ما .. مبالغ طائلة
حصلوا عليها منى دون جدوى ..

وبدا نفور زوجى يزداد .. مأموريته وصفقاته التي
تستدعى السفر تتزايد ولم أكن بحاجة لذكاء كبير على
أعرف أنه - غالباً - قد تزوج ..

ماذا أفعل ؟ لا شيء .. إن البكاء صامتة في دورة
المياه لهو العلاج الحاسم للمقهورين وغير القادرين
على الإيذاء أو اتخاذ رد فعل إيجابى .. وعلى كل حال
لم يغير معاملته المادية الشريفة لى ..

ثم جاء اليوم الموعود ..

٣٣

رفعت :

يبدو أن القصة ستبدأ هنا ..

المرأة :

كنت أعرف أنه يمر بمشاكل مادية طاحنة .. يبدو أن مشكله الأسرية قد جعلت حاسة الكسب عنده أقل رهافة .. وقد خسر كثيرا جدا في فترة قصيرة حتى أنني سمعته ينهه في دورة المياه ذات ليلة .. فعلمت أن هذه الدورة تحولت إلى نوع من (حائط الميكى) لكل أفراد الدار ..

كان عصاميا .. ولأنه عصامي كان ينفر من مصارحة امرأته بشيء .. ولم يكن يطلب رأى أحد أو عون أحد .. لم يكن يثق سوى برأيه هو ..

وبعد أسبوع واحد سافر إلى الإسكندرية ..

كان هذا هو اليوم الأخير له على ظهر الأرض ..

لم يجدوه في أى مكان .. كانت بفتته على الرمال .. وقال أكثر من شاهد أنهم رأوا رجلا يجتاز المياه في الظلام برغم الأمواج العاتية .. واجتاز البراميل غير عابى بصرخات المنقرين .. بعدها لم يروه ثانية .. وعاد لى أحدهم بالبدلة .. و .. (تهاتف) .. إهى !

رفعت :

أ .. حسن .. هل تريد أن نرجى المكالمة إلى أن ؟ إن دموع الأنثى هذه ..

المرأة (تسترد أنفاسها) :

لا .. لا .. لا داعى .. لقد وجدوا خطبا في جيب البذلة يخبرهم من هو ويقول : اغفري لى يا (...) فقد قبضت بى تديون .. أعلم أننى أترك لك عبئا مهولا أعنتك الله عليه .. اتصلى بالمحامى وهو سيخرجك من هذه الورطة ..

وبعد ما تلقيت العزاء واكتشفت أننى أبى فاتنة فى الثياب السوداء ؛ وبعدها عدت إلى بيت أمى - كالعمنة الزائفة - اتصلت بالمحامى ، وكان رأيه قاطعا بخصوص بيع منزل زوجى .. لكن المشكلة كانت أكبر مما تصورت .. فأملك زوجى لا يمكن حصرها .. ومن المستحيل أن أعرف ما آل إلى بالوراثة وما آل لزوجته الأخرى إن وجدت ..

وقضيت والمحامى ساعات سوداء نثقت فى أوراق زوجى الفقيد ، وفى مكتبه بوسط المدينة ..

إن عقلى غير معد لأشياء كهذه .. ولم أتصور قط أن كل هذه العقود وكل الشروط الجزائية وكمراسات

الشروط يمكن أن توجد في مكان واحد .. وعنى أنا
بالذات أن أجد دربي وسط كل هذا ..

لهذا تحولت إلى طفلة مذعورة ترمق بنها المحامي
في لهفة وانبهار .. إن الرجل الذي يفهم هذه الأشياء
لهو رجل قادر على كل شيء ..

لكن المحامي لم يكن كنى القدرة كما ظننت ..

قال لي متعباً وهو ينزع عويناته :

- لا شيء .. إن أهم الأوراق غير موجود هنا .. «

- « والحل ؟ »

- « هل تعرفين له مقراً آخر ؟ »

- « لا .. إلا إذا ... »

وفكرت في زوجته الأخرى لو كانت هناك واحدة ..

ربما كانت الأوراق عندها .. ولكن أين هي ؟ ومن

هي ؟ لماذا لم تظهر حتى هذه اللحظة ؟

ظللت أبحث شهوراً عن بصيص من نور دون

جدوى .. زرت قريته ونعت في غرفته لأفتشها بدقة ..

ليس الأمر طمعاً منى .. بل هو محاولة للفرار من

الديون التي كبلني بها والتي لم يكف ثمن المنزل

لمدادها .. كل ما وجدته لدى زوجي لا يكفي لسداد

ربع ديونه ..

وأسقط في يدي ..

لماذا لم يكتب كل شيء بالتفصيل في رسالة الانتحار

هذه ؟

شريف :

واضح أنه كان يحسب المحامي يعرف ..

المرأة :

لله أعلم .. وربما هو يعاقبني على سبيل دعابة

فلسية أخيرة .. ربما كان في قبره بأصاقي البحر

بضحك هازلنا منى ..

المهم أن المحامي جاءني بعد شهرين وقدم لي

فكرة غير عادية ..

رفعت :

تحضير الأرواح طبعاً !

المرأة :

ك .. كيف عرفت ؟

رفعت :

القصة هكذا دائماً !

المرأة :

إنك لشخص مخيف ..

الشروط يمكن أن توجد في مكان واحد .. وعلى أنا
بأنذات أن أجد نربي وسط كل هذا ..

لهذا تحولت إلى طفلة مذعورة ترمق بابا المحامي
في لهفة وانبهار .. إن الرجل الذي يفهم هذه الأشياء
لهو رجل قادر على كل شيء ..

لكن المحامي لم يكن على القدرة عما ظننت ..

قال لي متعباً وهو ينزع عويناته :

- لا شيء .. إن أهم الأوراق غير موجود هنا .. «

- « والحل ؟ »

- « هل تعرفين له مقراً آخر ؟ »

- « لا .. إلا إذا ... »

وفكرت في زوجته الأخرى لو كانت هناك واحدة ..

ربما كانت الأوراق عندها .. ولكن أين هي ؟ ومن

هي ؟ لماذا لم تظهر حتى هذه اللحظة ؟

ظللت أبحث شهوراً عن بصيص من نور دون

جدوى .. زرت قريته ونمت في غرفته لأفتشها بدقة ..

ليس الأمر طمعا مني .. بل هو محاولة للفرار من

الديون التي كبلتني بها والتي لم يكف تمن المنزل

لسدادها .. كل ما وجدته لدى زوجي لا يكفي لسداد

ربع ديونه ..

وأسقط في يدي ..

لماذا لم يكتب كل شيء بالتفصيل في رسالة الانتحار

هذه ؟

شريف :

واضح أنه كان يحسب المحامي يعرف ..

المرأة :

الله أعلم .. وربما هو يعابثني على سبيل دعابة

قاسية أخيرة .. ربما كان في قبره بأعماق البحر

بضحك هازناً مني ..

المهم أن المحامي جاءني بعد شهرين وقدم لي

فكرة غير عادية ..

رفعت :

تحضير الأرواح طبعاً !

المرأة :

ك .. كيف عرفت ؟

رفعت :

القصة هكذا دائماً !

المرأة :

إنك لشخص مخيف ..

رفعت :

بل الحياة هي النمطية أكثر من اللازم .. لنعد
لموضوعنا ..

المرأة :

كان المحامي يعرف رجلاً من جمعية الأرواح
المصرية .. قال لي إنه موثوق به ويجيد عمله ..
وإنه شخصياً جريه في استحضار روح أبيه .. هل
تؤمن بتحضير الأرواح يا د. (رفعت) ؟

رفعت :

لا أرى .. كانت لي ثلاث تجارب فاشلة ، واحدة
منها مع نصاب يهودي .. لا أزعج أنني أنسى
الموضوع أو أؤكد .. فنحن لا نعرف عن الروح
سوى أقل من القليل .. أقول فقط أنني لم أر تجربة
ناجحة قط .. إن النصائين في هذا المجال لم يتركوا
مكاناً للصادقين .. لكنني أعتقد أنك لست جديدة على
مناخ السحر والسحرة هذا ..

المرأة :

إن ما تقوله يخيب أمني .. كنت أحسبك مررت
بألف تجربة على الأقل تعرف معها الحقيقة كاملة ...

رفعت :

إن الروح من أمر ربي ولن يغير رأسي ولا رأيك
هذه الحقيقة .. والآن هلا أكملت القصة ؟ ربما كان
لي رأي في آخرها ..

المرأة :

كما قلت أنت : لقد اعتدت هذه الأجواء فلم أخشها
كثيراً .. صحيح أنني لا أجد سوى نصائين .. لكن
تحضير الأرواح له جو راق يختلف كثيراً عن جو
(الأعمال) ، والهدوء المصائب بالبواسير ،
و (شهورش) المزواج الذي يهيم بكل حسناء تكثر
من تأمل نفسها في المرأة ..

ذهبت والمحامي بناءً على ميعاد مسبق إلى منزل
الدكتور (عدلى) في الهرم .. وهو رجل متأنق راق
يوحي بالثقة .. تأملني في اهتمام وسألني عما أريده
من الروح التي أطلبها .. فقلت له - بين مذبذبة
ومذبذبة - أنني أبغى سؤال روح زوجي عن موضع
أوراقه ..

قال دكتور (عدلى) - وهو يداعب حبيبات مسبحة
من العقيق - إنه يمر بتجارب عديدة مماثلة ..

فالموتى - للأسف - يتسبون دومًا أن يضعوا أوراقهم
في مكان ظاهر قبل الموت .. ثم سألتني :

- « كيف مات الفقيد ؟ »

- « مات منتحرًا .. لم يكن هذا بسببي ! »

قطب جبينه في شرود .. وتساءل وهو يداعب
المسبحة :

- « هذا سيئ .. هل أنت مستعدة لتحمل تبعات

تحضير روحه ؟ »

- « تبعات ؟ »

- « طبعًا .. إن أرواح المنتحرين تكون قلقة

شرسة .. وأحيانًا تصرّ على البقاء .. ولو كنت كائنة

بصدد أنك لم تكوني سبب انتحاره فلسوف نعرف هذا

بسهولة ! »

- « حسن أنا مستعدة »

وعرفت أن تحضير الأرواح يتمّ بعدة طرق ..

أشهرها أسلوب لوحة الحروف الأبجدية التي يتحرك

فوقها كوب مقلوب ... ويسمونها لوحة (الويجا) ..

ثم هناك طريقة الوسيط الذي يتكلم بلسان الفقيد ويردّ

على الأسئلة .. وطريقة الزجاج الأسود .. وطريقة

السنة .. ومشكلة طريقة السنة هي أنها سهلة إلى حدّ

يجعل الكثيرين يجربونها في بيوتهم .. الأمر الذي

يرى د. (عدلى) أنه شبيه بمخاطرة تحضير قبلة

نووية في مطبخ الدار ..

وكان الدكتور (عدلى) عاتبًا على الأستاذ (أنيس

منصور) الذي كتب طريقة السنة بتفاصيلها في أحد

كتبه (*) ، مما جعل الكثيرين يجربونها في ديارهم

جاهلين ما ينتظرهم من خطر مريع ..

وكان رأى د. (عدلى) هو أن أسلوب الوسيط هو

الأمثل .. فهو يجعل الروح والمنتقى على اتصال

مباشر .. هل لدى اعتراض ؟ لا ؟ إذن تبدأ الآن ..

وقد كان .. وفي مساء الثلاثاء ٢٣ سبتمبر بدأت

التجربة ..

أظلمت الأضواء فيما عدا ضوءًا أحمر خافتًا ..

وأدار أسطوانة هادئة الموسيقا .. وأشعل عودًا من

البخور جعل الضوء الأحمر نفسه ذا رائحة ..

وجلسنا - نحن الثلاثة - حول منضدة صغيرة ...

(*) ٢٠٠ يوم حول العالم ..

وراح د. (عدلى) يتلو بعض الآيات القرآنية ..
ثم أغمض عينيه .. وهمس مرردًا اسم زوجي مرارًا ..
بعدها ساد الصمت ..

كان ينتظر قدوم الروح ..

(شريف) (فى حماس) :

- ألم تشعرى بالذعر ؟

المرأة :

إن الجو المقبض يحرك الخيال .. لكنى كنت واثقة
أن شيئاً لن يحدث .. ولو حدث فهو خدعة .. مثلما
يحدث دائماً .. شريط تسجيل .. كلام من البطن ..
شخص مختلف فى المكان يتكلم .. أى شيء ..
رفعت :

لا تقولى إنك وجدت شيئاً من هذا ...

المرأة :

بتناً .. يبدو لى الرجل صادقاً .. لقد فشل على كل
حال ! ولو كان نصاباً لكان نجاحه فى تحضير الروح
مؤكدًا ..

رفعت :

ماذا تقولين ؟ فشل !؟ لم أتوقع هذا ..

المرأة :

هذا ما حدث .. لقد مرّ وقت طويل علينا .. هو
يهوم رأسه يمينا ويسارًا فى حركة تشبه النوم ..
رفعت :

يسمونها لك (ترانس) ...

المرأة :

أنا كان اسمها .. رأيت وجهه يتقلص .. العرق
يحتشد على جبهته .. عيناه انفتحتا لكن حدقتيه لم
تكونا هناك .. كأننا فى مكان ما أعلى محجريه ..
أى أننى رأيت عينين بيضاوين تحدقان فى بإصرار ..
ثم إنه صرخ من بين أسنانه .. وقال : إن الروح
تأبى أن تستجيب لى .. إنها ذاتية فى الأثير .. أو
شيء من هذا القبيل ..

رفعت :

كلهم يقولون هذا ..

المرأة :

كان الأمر واضحًا بما يكفى .. ورحت أتأهب
للنهوض ، حين سمعت صوت مقعد يتحرك فى طرف
الغرفة .. مقعد يتحرك وحده ..

عندها استرخى جسدي . (عدلى) .. لم يسترخ
تماماً لكنه كف عن التشنج على الأقل .. وبصوت
عميق متحضر ناداني باسمي

شريف :

أى أن الاتصال قد تم ...

المرأة :

هذا هو ما حاول إقناعي به .. لا أدري هل تفهمنى
أم لا .. لقد كان الصوت عاماً جداً .. شائعاً للغاية ..
الصوت الذى يمكن أن يصدر من أى حاج تجاوز
العقد السادس من العمر .. يمكن أن يكون هو صوت
زوجى الراحل ويمكن ألا يكون .. هذه مسألة تحتمل
القولين ..

رفعت :

ومحتوى كلامه .. ألم يدك على شيء ؟

المرأة :

قال لى إنه لا يفهم سر استدعائى له .. فقلت له

إننى أريد أوراق ممتلكاته ..

قال لى إنه يكرهنى وإنه لا يرغب حقاً فى أن

يخبرنى بشيء .. ثم أضاف أنه مضطرب نفسياً لأنه

واقف جديد على عالم الأرواح .. وبالتالى لا يفنى
مزيداً من الكلام ..

وانتهت الجلسة فوجدت د . (عدلى) يعتدل .. ويعود

تدرجياً إلى طبيعته .. راح يجف عرقه .. ويحل

ربطة عنقه .. وأضاء الأنوار ..

ثم قال : إنها أصعب تجربة اتصال يقوم بها فى

حياته .. لقد كان هناك شيء ما غير مفهوم يعوق

الأمر .. كان هناك من يعيده إلى الأرض باستمرار

كلما حاول الابتعاد عنها ..

ثم سألتى : هل عرفت ما تريدان ؟

قلت له : لا ..

قال لى : كنت أتوقع هذا .. فالمنتحرون لا يتميزون

بالمودة ولا لطف المعشر ..

سأله المحامى عما إذا كان هناك ما يمكن عمله ..

قال الرجل : علينا أن نكرر الجلسة مراراً .. فلربما

يلين الفئيد ..

لم أجروا على مصارحته برأى فيه .. إن التصائبين

هم أكثر الناس إحصاءً بالثقة بالتأكيد .. وإلا فكيف

ينجحون فى عملهم ؟

في عصبية هزرت أمي لتصحو وشعر رأسي ينتصب
هلغاً :

- « ماما .. هناك شخص ما بالمطبخ ! »

- « أحقاً ! بسم الله الرحمن الرحيم ! »

- « أقسم على هذا .. »

- « و .. وماذا تفعل .. تنادي لجيران ؟ »

لكن جزءاً من عقلي كان يردد باستمرار : أنت

واهمة .. أنت ترين أشياء لا وجود لها ككل النساء ..

لهذا قررت أن أرى بنفسى أولاً ..

كنت سكينة المطبخ على المائدة جوارى .. لهذا

تناولتها .. أنا لا أعرف كيف أقتل إنساناً بسكين لكنى

تظاهرت أمام نفسى بأننى أعرف ..

دخلت إلى المطبخ بخطوات حذرة .. وواللتى ورائى ..

وقبل أن أضغط زر الضوء الكهربائى عرفت أننى

سأراه ..

رفعت :

عن تحدثين بالضبط ؟

المرأة :

زوجى طبعاً ! أنا لا أتحدث عن فأر .. فى البداية

شريف :

وهل كررت المحاولة كما طلب ؟

المرأة :

بالطبع لا .. إنه يطلب خمسين جنيتها فى كل جلسة ..

وهو ثمن أفضل الموت ولقاء زوجى مباشرة على

دفعه .. لكن القصة لم تنته بعد .

بعد هذه الجلسة الفاشلة بثلاثة أيام كنت فى بيت

أمى .. كنت جالسة على الأريكة (أقرقر) اللب كدأبى

أمام التلفزيون .. وكأنت أمى غافية - ككل المسنين -

جوارى .. بينما نام إخوتى ..

لابد أن منتصف الليل قد اقترب ..

أنت تعرف ياد .. (رفعت) هذا الشعور الغريب

الذى ينتاب العصبيين .. الشعور بأن هناك من يراقبك ..

تشعر به يتركز هناك فى مؤخرة رأسك .. ويدفعك

دفعاً إلى الالتفات .. وكان على أن ألتفت إلى الوراء ..

إلى الردهة التى تمتد أمام باب المطبخ ..

عندها رأيت - ثربع ثنية - رجلاً يرتدى منامة

زرقاء ، وهو يذلف إلى المطبخ ليبتوارى عن عيني

داخله !

رأيت جسده المظلم واقفاً أمام الموقد .. ثم أضأت
النور فرأيت تفاصيله التي لن أنساها أبداً .. رأسه
الأصبع المحمر قليلاً بفعل الشمس .. وشعره الأثيب
على جانبي رأسه .. وشاربه الكث الأحمر كصنعتة ..
ومنامة الزرقاء المميزة .. والعرق الأبدى على
جبهته .. كان ينظر نى دون أن يدبر وجهه نحوى ..
لا أرى كيف أعبر عن ...



رفعت :
تريدين القول إنه كان فى وضع (ثلاثة أرباع خلفى)
كما يقول المصورون ..

المرأة :

تبدأ نمصطنحاتك هذه ! ثم يكن التوضع يسمح بعمل
لرأسه عن جماليات الكابر .. كان هناك فحسب ..
وكان يتأملنى فى صمت ولوم ..
فتحت فمى لأصرخ .. لكنه لم يعد هناك .. لم يعد
أمامى سوى المطبخ الخاوى الباس .. وعرفت عندها
أن أمى رأت ذلك الشيء معى !
ولك أن تتكلم الآن كيف قضينا ليلتنا .. قضيناها
متلاصقتين نقرأ القرآن ونرتجف ونسأله عن سر
هذا ..

شريف :

هل انتهت القصة عند هذا الحد ؟

المرأة :

بل كانت البداية .. البداية لتواجد مكثف له فى كل
مكان .. فى الحمام .. فى الصالة .. عند مدخل
الشقة .. فى غرفة النوم ..
دائماً هو هناك بمنامة الزرقاء ونظرة اللوم فى
عينيه الحمراءوين .. ودائماً لا يقول شيئاً تقريباً ..
وفى كل مرة يختفى بذات الكيفية الدرامية ...

كان يترك لنا الكثير من الهلع والصراخ والجنون ..
وطلبنا آراء الكثيرين ممن يفهمون في هذه الأمور ..
لكنهم كانوا هم الجهل مجسماً أو الادعاء مجسماً أو
التنصب مجسماً ..

إن أكثر الافتراحات احتراماً كان أن نترك المنزل ...
ولكن إلى أين ؟ لقد بعث شفقتة منذ زمن ..
رفعت :

أفهم هذا .. إن هجر البيوت المسكونة لتتبع من
الترف لا يصلح إلا للأثرياء .. أما هنا فالتأقلم هو الحل
الوحيد ..

المرأة :

ثم من قال إنه لن يفتنى أثرى حيثما ذهبت ؟ لقد
أحبال حياتنا جحيماً .. والأسوأ هو أنني ظلمت عاجزة
عن فهم سر متابعته لي .. لماذا هذا الوقت بالذات ؟
ولماذا يرمقني بهذا اللوم ؟ أنا لم أؤذ في شيء .. أم
أنه ليس من حقي أن أتألم لأنه أذاني مراراً ؟

شريف :

لعلها تجربة تحضير الأرواح إياها ؟ لعل د. (عدلى)
لم يتمكن من صرف الروح ؟

المرأة :

ذهبت إليه واقترحت عليه شيئاً كهذا .. لكنه قال
إنه عاجز تماماً عن تفسير الأمر .. وقال إننا يمكن أن
نقوم بمحاولة جديدة لتحضير الروح .. بعدها يمكن
أن نسأل الحاج عن سبب نغمته على ...

وكالت التجربة الثانية مقتعة نوعاً

لقد تحرك المقعد في مرحلة مبكرة .. وهذا يعني
تواجد الروح في الغرفة .. وقد سألت الوسيط حين
نادته باسمي :

- « لماذا تطاردني يا حاج ؟ »

- « إنه الانتقام ! »

قالها بصوت وأسلوب قريب جداً من زوجي الراحل ...
سألته وأنا أرتجف :

- « لماذا ؟ »

- « لأنك غيبة حمقاء .. أغبى من رأيت في حياتي ..
لقد كان كل شيء على ما يرام لي لكنك أصررت في

غياب على ... »

- « على ماذا ؟ »

- « على أن تعلمي ! »

لم أفهم ما يريد قوله .. فسألته السؤال الذى كان
يؤرقنى كامرأة :

- « هل أنت متزوج من أخرى ؟ »

مرت هنيهة من الصمت .. ثم قال فى هدوء :

- « لم أكن قبلها .. لكنى بعدها فعلت ! »

- « بعد .. بعد ماذا ؟ »

قال فى غموض :

- « إن اللبذاتيات يتمكن بسحر غريب ! »

ثم بلهجة عاتية الاتهام :

- « وأنت أفسدت كل شيء .. كل شيء ! »

حاولت أن أستفهم أكثر لكن الوسيط أفاق من

غيبوبته .. وعرفت وقتها أن الهدنة مع الروح قد

انتهت .. ستعود الحرب سجالاً بيننا ..

رفعت :

هل أنت تتحدثين من ذك الآن ؟

المرأة :

نعم .. أنا جالسة فى الصلاة كعادتى .. أنتظر ميعاد

الظهور اليومى .. لن يلبث أن يعبر الصلاة بتؤدة

أمامى .. أو يفتح باب الحمام ليخرج منه .. أو أراه

واقفاً من وراء كنفى وهو يرمقنى بذات النظرة .. إنه

كابوس لا يمكن الخلاص منه أبداً ..

رفعت :

وهل انتهت القصة عند هذا الحد ؟

المرأة :

نعم .. لقد كانت الجلسة الأخيرة أمس فحسب ..

وقد انفلقت كل الأبواب أمامى فلم يعد هناك سواك

يا د .. (رفعت) .. هل يمكنك أن تفتح لى ثغرة من

النور ؟

رفعت :

لا أرى هل أستطيع أم لا .. لكن هذه القصة

تذكرنى بخبر قرأته فى الجرائد منذ شهر أو أكثر ..

ربما فى الأسبوع الأخير من سبتمبر .. متى قلت إنك

قمت بجلسة التحضير الأولى ؟

المرأة :

الثلاثاء .. ٢٣ سبتمبر .. لن أسمى هذا التاريخ

أبداً ..

رفعت :

حسن .. الخبر كان عن وفاة مصرى مجهول

الشخصية في (بيروت) .. وجدود ميتا في فندق
واتضح أن بيانات هويته مزورة .. كانت هناك صورة
للمتوفى .. صورة لن أنساها لأنها تشبه صديقي
الدكتور (محمد شاهين) - أظال الله عمره - إلى حد
كبير .. رأس أصلع وشارب كث وشعر أشيب ثائر
على جانبي الرأس .. هل يذكرك هذا الوصف بشيء ؟
المرأة :

لا أعتقد ..

(رفعت) (بهيظ) :

- ألم تذكرى هذه الصفات منذ ثلاث دقائق حين
وصفت زوجك !؟

المرأة :

آه ! لكن زوجي مات قبل هذا التاريخ بشهور ..
رفعت :

هذا هو بيت القصيد .. والآن أفسح خيالك وصدرك
لما سأقول .. زوجك يمر بضائقة مالية لكنه تاجر
بارع راض عن نفسه .. تاجر غير مثقف لا يمكن أن
يشعر بالاكتمال .. الثقافة والاكتمال والانتحار أشياء
من عالم واحد .. وزوجك لا ينتمي لهذا العالم بالتأكيد ..
إنه ليس ممن ينتحرون تحت أية ظروف ..

لم يجد أحد جثة زوجك .. أوراقه المهمة مختفية ..
ماذا نجد في كل هذا ؟ نجد أنه قد فر بعيدا عن
مسئوليته ودائنيه بعد ما أقتع الجميع بانتحاره ..

إلى أين ذهب ؟ لقد تحدث .. وهو شبح - عن
(لبنان) .. كل الفارين يهربون إلى لبنان ولا أدرى
لكل سبب .. يمكننا القول دون خطأ كبير إنه فر إلى
(بيروت) لبدأ حياة جديدة .. ومعه بالتأكيد ما يلزم
لبدء تجارة جديدة ناجحة .. ألم تقولى إنه يتاجر بكل
وأى شيء ؟

المرأة :

بلى .. ولكن هذا عسير التصديق .. و .. وجلسة
تحضير الأرواح ؟
رفعت :

ألم تفهمي بعد ؟ أنت حين ذهبت لبيت د. (عدلى)
مع المحامي لم تعرفي ما ستقومين به .. لقد وجد
الرجل عسرا شديدا في استحضار الروح في البداية ..
لم يجدها .. ثم بعد قليل جاءت للروح وكانت مرتبكة
مذعورة ..

ما معنى هذا ؟

معناه ببساطة أنكم قمتم بتحضير روح شخص ما زال
حيًا !

شريف :

يا للهول !

المرأة :

هذا .. هذا جنون !

رفعت :

ربما .. لكن ما حدث بعد ذلك يستحق وقفة .. ففي
أحد فنادق (بيروت) هوى رجل في العقد السادس
من عمره ميتًا دون سبب واضح .. إن النوبات القلبية
تفسر جاهز مناسب دائمًا .. لكنهم لو تأكدوا من
لحظة الوفاة لوجدوا أنها في مساء اليوم الثالث
والعشرين من سبتمبر !

لقد انتزعتم روح الرجل منه لتسألوها عن مكان
الأوراق .. ولن يدهشني أن يكون الرجل حاقداً عليك
لأسباب واضحة !

المرأة :

يا للهول ! تعني أنه كان حيًا لحظتها ؟

رفعت :

كان .. في بداية الجلسة .. لكنه لم يعد كذلك في نهايتها ..

لقد ارتكبتم خطأ جسيمًا يا سيدتي .. خطأ من النوع
الذي لا يكفى الندم لإصلاحه ... خطأ لا يكفى إغلاق
نوافذنا وأبوابنا ليلاً كي نتفادي عواقبه !

شريف :

هل أنت واثق من هذه النظرية يا د. (رفعت) ؟

رفعت :

هذا يتوقف على صدق المعطيات التي بين يدي ...

المرأة :

و .. وماذا عساي أن أفعل ؟ ! .. إن هـ .. هذا

مخيف ...

رفعت :

يمكنك استشارة د. (عدلى) .. فهو المسئول عن

وضعك في ورطة كهذه ..

المرأة (في هلع) :

د. (رفعت) ! الغوث ! أنا لم ... إنه أمامي الآن !

رفعت :

زوجك ؟ هل عاد ؟

المرأة :

نعم .. نعم .. إنه يقف أمامي .. يرمقني بتلك

النظرة الثابتة التي ... ابتعد عني يا (عباس) .. أنا
لمت مسئولة عن شيء .. الخطأ خطوك أنت !
رفعت :

لا أدرى هل أنت تهلوسين أم لا .. لكنني أتصحك
بعدم البقاء وحيدة ...

(صوت صراخ .. أشياء تنقلب) :

إنها متمسكة بسماعة الهاتف .. هذا الإصرار يروق
لي حقاً !

(شريف) (في رعب) :

هل يوجد ما يمكننا عمله ؟

رفعت :

معلوماتي أن الأشباح لا تؤذي سوى المcnويات ..
إن هذا الرجل يقودها إلى الجنون ببطء .. وهذا هو
كل ما يقدر عليه .. لو تمالكت أعصابها قليلاً فقد ...
المرأة :

د. (رفعت) : افعلي شيئاً آآ .. إنه لا يريد الرحيل ...
بل هو يذوق مني باستمرار وهو يشير إليّ بإصبعه ..
إنه يتهمني ألا أريد أن .. آه ! الشرفة ! إنه يريد أن
أتجه إلى الشرفة .. لا بد أن هناك ما يثير اهتمامه
هناك .. هاها ! لم لا ؟ لا بد أن المنظر رائع من هناك !

رفعت :

لا تتهورى يا ... عليك بإيقاظ أسرتك ! إنه يريد أن
يغريك بالـ ...

المرأة (في هستيريا) :

ماذا بوسعت أن تفعل ؟ أنت ناست أنا .. هاها ! ماذا
بوسع أي واحد أن يفعل ؟ هي هي ! الشرفة ! نعم ..
أنا أتوق لاستنشاق هواء المساء .. وداعاً
ياد. (رفعت) .. لقد كانت معرفتك ممتعة حقاً !

رفعت :

أرجوك لا ! لا تفعلني ! إنه (كليك !) ...
لقد وضعت السماعة !

شريف :

هل .. هل تعتقد أنها ستفعلها ؟

(رفعت) (في أسى) :

أنا لا أعتقد .. أنا واثق .. إن مخايل الذعر
الحيواني الذي يستحيل التعلل معه واضحة تماماً ..
ومن يدري ؟ ربما هي تشعر بعقدة ذنب معينة ...
شريف :

تعني تحضيرها لروحه ؟



الحلقة الثانية

حكاية من المشرفة

يحكيها د. عصام عبد القادر

رفعت :

بل قبل ذلك .. من يدري ؟ ربما لم تكن الديون وحدها هي سبب فرار الرجل .. إن أمثاله يهرون المواجهة وربما دخول السجن .. فهم يعتبرون السجن جزءاً لا يتجزأ من تجربتهم ..

شريف :

إذن هي كاذبة بصدده معاملته لها ؟

رفعت :

إننا لا نرى سوى أخطاء الآخرين .. كما أننا حين نقود السيارة لا نرى كشافاتنا أبداً بل كشافات السيارات الأخرى .. وقد تعلمت أن كل من يحكى مشكلة يضع نفسه في صورة الحمل المجنى عليه عديم الأخطاء .. وبالتالي أعتقد أنها لم تكن حملاً إلى هذا الحد مع الذنب الذي هو زوجها .. إنها فائرة على تحطيم حياته وإشعاره بفارق السن بينهما وعجزه عن الإنجاب .. وحين فر منها ومن مسئولياته ظلت هي تفتش عن أمواله في نهم إلى حد تحضير روحه لتخبرها ...

لقد تلقت درسا قاسيا على يد الزوج الذي عاد ...

★ ★ ★

المقدمة

شريفًا :

ها نحن أولاء يا سادة نجتمع للقاء الرعب
الأسبوعي مع د. (رفعت إسماعيل) .. أرجو أن
تكونوا ساهرين جوار أجهزة المذياع ، وأن تتأكدوا
من أن الأطفال قد ناموا .. لقد كانت حلقة الأسبوع
الماضي الخاصة بمصاصة الدماء في مدرسة البنات
شائقة حقًا (*) .. لقد تلقيت عشرات المكالمات تبدي
إعجابها بها - الحلقة - ولكن الجميع ينسى أن نجاح
هذا البرنامج لا يعود لنا .. بل لكم .. أتم من
تمدون ...

رفعت (في مثل) :

(أتم من تمدون آلة الرعب بقصصكم لتعمل
ولا تتوقف أبدًا) .. اختصر يا (شريف) .. اختصر ..
لقد كررت هذه العبارة عشر مرات منذ الحلقة الأولى ..

(*) أرجو ألا ينسى القارئ أن ترتيب الحلقات هنا يختلف عن
الترتيب الذي نُذِبت به ..

الحلقة الثانية

حكاية من المشرحة

يحكيها : > عصام عبد القادر

« في قاعة مظلمة تفوح فيها رائحة (الفورمول) ..
وعلى منضدة من مناضدها : يرقد ذلك الرجل
وعيناه لا تفارقان وجهي .. أينما ذهبت .. شرقًا
أو غربًا .. شمالًا أو جنوبًا .. »

شريف (لا يخفى غيظه) :

لكنها الحقيقة ..

رفعت :

إن كون الشمس تأتي من الشرق لا يعنى أن تذكر
هذا طيلة اليوم .. وعلى كل حال نحن نشتر بأنتظار
المكالمة الأولى .. هل قرأت ما نشر بالصحف أمس
عن التحار أرملة في (العباسية) بعد مرض نفسى
طويل ؟

شريف :

هل تعتقد أنها بطله أولى حلقاتنا ؟ تكن شهرين

قد ..

رفعت :

بالتأكيد لم تفعلها فى تلك الليلة .. لكنها فعلتها أول
من أمس .. لم يختلف الأمر كثيراً . الخبير يقول إنها
زوجة تاجر اتحر بدوره منذ فترة بسبب الإفلاس ..
وأنها لم تنجب .. وإنها كانت تعيش فى بيت أسرتها ..
لا توجد أرامل كثيرات بذات الصفات على ما أظن ..

شريف :

ولماذا وكيف ظلت حية هذين الشهرين ؟

رفعت :

نقد قاومت .. لكن حدودها تنتهى عند هذه النقطة ..
يا لها من مأساة ..

(رنين الهاتف) ..

يبدو أن هذا هو زبون الليلة ..

شريف :

آلو ؟ برنامج (بعد منتصف الليل) .. هل لى أن
أتعرف المتحدث ؟

صوت شاب :

كيف حالك يا أستاذ (شريف) ؟ أنا د. (عصام
عبد القادر) .. طالب بالمسنة الرابعة من كلية
الطب ..

رفعت :

إنها عادة طلاب الطب العتيبة .. ما إن يخطو
أحدهم إلى داخل الكلية بعد إنهاء دراسته الثانوية حتى
يصر على تمسية نفسه (دكتور) .. على كل حال ..
مرحباً بك يا دكتور .. نعتك واحد من تلاميذى ؟

د. عصام :

بالواقع لا .. أنا من كلية أخرى

شريف :

هلا بدأت السر من فضلك ؟

عصام :

بها قصة تعود إلى السنة الأولى من كلية الطب .. هل تذكر هذه السنوات يا د . (رفعت) ؟ هذه النشوة والرهبة والفخر الداخلى .. وشعورك بأن الحياة قد اختارتك أنت دون مواءم كي تخبر أسرارها .. إنه ذلك الانبهار المجنون بلفظة جديدة ذات مذاق لاتينى حريف .. حينما تكف البطن عن أن تكون بطناً وتحول إلى Abdomen .. وتكلم بتلك اللغة التركيبية التى يستعملها طلبة الطب التى تمزج بين العربية واللاتينية .. وتتشدق بها فى كل مكان حتى فى الحافلة .. حاسباً أن القاس برنون لك فى إعجاب ..

رفعت (فى سام) :

أفهم كل هذا .. صدقتى ..

عصام :

بالطبع كانت المشرحة هى المكان ذو الثقل الأعظم فى نظرنا للأمور .. فهى أول ما يثب لذهن الناس حين نتكلم عن دراسة الطب .. كنا نرمق اللافتة القديمة التى كتب عليها (المشرحة) فى شوق

وخوف .. هناك يكمن الموت بكل غموضه ورهبتة .. وهناك الأجساد البشرية التى تنتظر- أن تفتحها لتعرف سر الحياة .. كل واحد فينا كان يعتقد أنه سيعرف كل شىء بمجرد أن يمد يده إلى الجثة .. وبغزور الشباب لم يسأل نفسه عن سر فشل كل من شرحوا الإنسان - من عهد (فيزاليوس) حتى اليوم - فى اكتشاف سر الحياة .. إن الأمر يختلف معك .. لأنك هو أنت ...

وجاء اليوم الموعد

دخلنا القاعة الرطبة فى رهبة .. كانت هناك فتيات معنا .. لكن أكثرهن تراجعن إلى الوراء بضع خطوات وقد تقلصت وجوههن فى شملزق ..

رائحة (الفورمول) تعبق الجو .. وهى العن رائحة يمكن شمها .. وتأثيرها على العينين والأنف يوشك أن يكون قاتلاً لمن لم يعتدها ...

وعلى مناظرة متراصة متلاصقة رأيناها ...

تلك الأشياء الرهيبة التى تجمدت فى الأوضاع التى هلكت بها ..

بدافع من كبرياء نواصل التقدم .. اللعنة على أول من يتراجع ..

وناقضين إلى تلك الأشياء بدأتنا - رويدا - نفقد
خشيتنا الأولى .. إن هذه الجثث تكاد لاتمت إلى
الأحياء بشيء .. لقد جعلها (الفورمول) أقرب إلى
تمثيل خشبية غامقة اللون يصعب أن تصدق
أنها آدمية .. تمثيل هائلة الحجم من الصلصال
البنى ..

وفارقنا دعرنا .. وبدأنا نتخذ مقاعدنا ونتراحم حول
المناضد .. وقد تطوع أكثرنا حماسا ورغبة في لغت
الأنظار بأن يكون هو قائد المجموعة الصغيرة حول
المنضدة .. وتناثرت كتب (كنجهام) هنا وهناك ..
وبرزت المباحث .. ودوت المصطلحات اللاتينية التي
اصطكها (فيساليوس) ..

وعرفنا أن اختبارنا الأول قد تم بسلام ..

شريف :

إنك لتثير خيبة أملى يا د. (عصام) .. فلم أتصور
الأمر بهذه السهولة ..

رفعت :

كل الأشياء تبدو من الداخل أنه مما هي في
الخارج

عصام :

لكنى لم أنته بعد .. لم أنتظر منتصف الليل لكي
أخبركم بمدى شجاعتى .. إن القصة أكثر تعقيدا كما
سترون بعد قليل ...

يجب هنا أن أحكى لكم ما حدث قبل تجربة المشرحة
بعام أو أقل قليلا .. وكل ما أرجوه ألا تتومونى بأكثر
مما أستحق .. فأنا بشر ...

كان هذا في إحدى ليالى الشتاء ...

ربما كان الليل قد انتصف أو لم يحدث بعد ...
لا يهم ...

كنت عائدا من سهرة في دار أحد أصدقائى .. كان
الوقت متأخرا والليل باردا إلى درجة لا تصدق .. وكنت
أجد السير في الأرقعة المظلمة لاهثا من الزمهير .. وبخار
الماء يحيطنى بهالة من الضباب جعل زجاج عويناتى
كأنه مصنفر .. وبهد مرتجفة أضغ طرفى الـ (بول
أوفر) الذى ارتديه على صدرى طلبا بعض الدفء ..
عابر سبيل اصطدمت به فى الظلام ..

لم يكن الموقف يستحق الاهتمام ، وكان من
الممكن أن يمر ببساطة .. لكنه سبنى بفضافة .. وقال
شيئا ما عن الحيوانات العمياء ..

حاولت أن أنهى الموقف محافظاً على كرامتي ..
لكنه كان يسعى للشجار .. ربما كان غاضباً حقاً أو
بيغى التحرش .. لا أدرى ..

كل ما هناك هو أننا اشتبكنا بالكلمات ثم بالكلمات ..
كان قوياً .. لكن عويناتي لا تعنى أبداً أنني فريسة
سهلة .. فأنا كتلة من العضلات .. ثم إتني ألعاب دور
الحكيم في كل أطوار حياتي .. فبذا غضبت ..

لا أدرى كم لكمة وجهت إلي أنه وفكه وأسفل
بطنه .. كل ما أنكره هو أنه تهاوى على ركبتيه ..
ثم سقط أرضاً ...

وحين عاد إلى رشدي ، اتحيت - وقد استحال
غضبي فرقاً - لأفحص جسده الممدد هناك .. لم يكن
يتحرك .. إن الظلام دامس لكنه لا يتنفس .. لا أسمع
يتنفس ... هل هو ...؟

رفعت :

بالطبع فررت دون كلمة واحدة ..

عصام :

طبعاً .. استولى الذعر على فؤادي .. وانطلقت في
الأرقعة لا أوى على شيء ... للدموع تغمر وجهي

والشعور بأنني فقدت أمن ما في حياتي .. لقد فعلت
ما لا يمكن أن تظل حياتي بعده كما كانت قبله ..
المهم أنني عدت إلى داري ولم أخبر أحداً بحرف ..

لكن وجه الرجل ظل يطارقتي ..
عيناه الحادتان .. شاربته المنمق الجميل .. شعر
رأسه الفاحم .. الثمامة الكبيرة على خده الأيسر ..
نظرة التحدي الوقح العدوانية ..

وفي الصباح والصبح التالي رحلت أطالع الصحف
في نهم بحثاً عن خبر ما عن العثور عليه .. شهر
كامل .. عام كامل لم أكن فيه عن البحث .. لا شيء ..

لهذا معنى واحد : الرجل لم يموت .. إنه حي برزقي ..
لكنه قطعاً سيكف عن التحرش بعايري السبيل ...
وبدأت أنسى الأمر تدريجياً .. لكنه بالتأكيد زارني

في أحلامي مراراً .. كنت أراه تارة برأس مهشم ..
وتارة ببطن مبقور .. فأتانا لا أعرف كيف مات إن كان
قد مات حقاً ...

وجاءت لحظة مواجهة المشرحة التي بدأت بها
قصتي ..

كنت جالسا وسط زملائي أمام صفحات كتاب

(كمنجهام) البراقة .. وأصغى لما يقول قائد المجموعة بصوته الرفيع المبحوح ..

كان يشرح الساق .. لهذا لم أحاول قط - ولم أرغب - أن أرى وجه الجثة التي يتم الشرح عليها .. كنت متبلد الشعور بشكل غير عادي .. فلم تطف بخيالي تلك الخواطر المألوفة عن الموت والحياة .. كنت أشعر أن هذه الجثة مجرد جهاز تالف نفتحه لنرى كيف كان يعمل .. ولا شيء سوى الحظ يمنعني أنا من أن أكون الجثة ويكون المتوفى هو طالب الطب .. لكن طائبة حمقاء قالت شيئاً ما عن الرأس المصاب للفقيد .. فرفعت عيني في خمول وتاملت ما تتكلم عنه .. ثم عدت أتابع الشرح وأتفحص عضلات الساق .. و .. مهلاً ! لقد أثار شيء ما اهتمامي في هذا الوجه ... عدت بعيني إلى أعلى .. كان هناك رأس .. لقد صبغته (الفورمول) بلون الصلصال القاتم لكن ليس عسيراً أن تدرك أن المتوفى ذو شارب .. ذو شعر أسود فاحم .. وشامة على الخد الأيمن .. عيناه مفتوحتان تقولان إنه كان ذا نظرات حادة مرساة .. وكان الرأس مهشماً عند الفود الأيمن ..

- « معذرة ا »

في أدب أرحت الجالسين حولي .. واتجهت متثاقلاً إلى التنافذة .. كنت في حاجة إلى هواء نقي .. شريف :

هل تعنى أنه هو ذات الرجل ؟

عصام :

بتأكيد هو .. لقد أسميته (العابر) في خواطري الخاصة ..

شريف :

لكن كيف ؟ لا بد أن أهله استردوا جثته ..

رفعت :

ليس دائماً .. لو لم يكن يحمل أوراقاً وقت وفاته .. ولو لم يتعرفه أحد .. عندها يُعتبر ناقص الأهلية وينقل إلى مشرحة كلية الطب .. إن الاحتمال وارد للأسف ..

عصام :

لم أكن أعرف هذا .. كان تأثير رؤيتي وجهه أقرب إلى تأثير المشى فوق كابل من كابلات الجهد العالي .. ولا بد أنكم تفهمون سبب ذلك ..

(رفعت) (كمن تذكر شيئاً) :

لحظة يا دكتور .. هل (عصام) هو اسمك الحقيقي ؟
عصام :

بالطبع .. ولماذا تسأل من جديد ؟
رفعت :

أحاول استنتاج نهاية القصة .. فلو كنت قتلته حقاً
لما ذكرت اسمك الحقيقي ..
عصام :

وما يدريك ؟ لعلني أعترف طلباً للتعاقب وتخففاً من
مرأضتي ؟ على كل حال لن أخبرك بنهاية القصة
إلا حينما تحين نهاية القصة .. يقولون إنك سريع
الملل يا د. (رفعت) .. وعجول جداً .. يبدو أنهم على
حق ..

رفعت :

إبن .. أكمل كلامك ...

عصام :

لك أن تتصور مدى هلعي ورعبي .. لم أتح ليلتها
ولا في الليالي التالية .. كنت هناك .. في قاعة
مظلمة نفوح فيها رائحة (الفورمول) .. وعلى منضدة

من متاضدها يرقد ذلك الرجل .. وعيناه لا تفارقان
وجهي .. أينما ذهبت .. شرقاً أو غرباً .. شمالاً أو
جنوباً ..

دائماً يرنو لي بتلك النظرة الحادة وعيناه لا تطرفان ..
تقولان بصوت عالٍ برغم كونه غير مسموع : أنت
قتلتني !

لن أحكى لك عن المرات العديدة التي أفتحم فيها
حجرة نومي ليوقظني من النوم .. وفي كل مرة كنت
أملأ الكون صراخاً .. ثم أهدأ .. وأعرف أنه لم يأت
قط .. إنه مزال ينتظرنى هناك ...
رفعت :

لا أتوقع أنك صرت من المتفوقين في علم التشريح ؟
(عصام) (في سخرية مريرة) :

من يتحدث عن التشريح ؟ إبنى لم أضع قدماً في
المشرحة لمدة ستة أشهر كاملة .. وكنت أقضي
ساعات الدرس في الكافتيريا .. أدخن وأرمق السقف ..
وأعرف الفتيات لأحدثهن عن النظام المحكم المسيطر
على هذا الكون ..

رفعت :

لكن المشكلة قد انتهت سريعاً دون شك .. فالجثث لا تظل جثثاً ..

عصام :

هذا حق .. فمع مرور الوقت يغدو التعرف مستحيلاً .. وتستحيل الجثة إلى قطع متناثرة في كل صوب ..

كانت نهاية العام الدراسي قد دنت .. وجرؤت على دخول المشرفة فلم أر إلا أشلاء على كل منضدة .. فهذه ذراع تمزقت أوتارها .. وهذا قلب شقوه بالطول .. وتلك رفة .. وهذا شريان أورطى ملقى كخرطوم قديم على منضدة التف حولها الطلاب متكالبين ؛ كأكلة لحوم البشر حول (نيلنجستون) رحمه الله (*) .

ثم بعد (العابر) هنا .. وانتهت متاعبي ..

رفعت :

سؤال يتعلق بالأخلاق .. لماذا لم تبلغ الشرطة بمخاوفك ؟

(*) ليس مؤكداً أن هذا كان مصير المستكشف الإنجليزي الشهير (نيلنجستون) ، والذي اختفى في مجاهل البريقيا وهو يبحث عن منابع النيل ..

عصام :

ثم أكن وأثقا مما يحدث .. فهناك احتمال ألا يكون نفس الرجل .. وإذا كان هو فربما نست المسئول عن وفاته .. ثم إن شخصاً حساساً مثلي يمقت الشرطة ويهابها بالتأكيد .. سمه الجبين أو الهرب من المسئولية لو أردت .. لكني لم أفعل ..

رحت جاهداً أحاول اللحاق بما فاتني .. وحشرت في رأسي - كمن يحشر الثياب في زكبية - ملات من أسماء العضلات والشرايين والأعصاب .. لكني كنت أصطدم بأشياء غير معتادة حقاً ...

فحينما كنت أدرس تشريح الرأس كنت أبحث جاهداً عن رأس يصلح .. وأسأل العامل - مع نفحة مالية مناسبة لشراء الدخان - عن رأس في حالة معقولة .. (وكل عمال المشارج يخفون أشياء كهذه لمن يدفع ثمن الدخان لهم من الطلبة) ..

عندها كان الرجل يهز رأسه في فهم .. ويخرج لي من الثلاجة رأساً له شعر قاحم وشامة على خدها .. وله نظرة حادة !

اتفقت مع زميل لي على أن يقوم بتشريح الرأس

ليغير معالمة تمامًا .. لكنى عندما أدرس تشریح
المساعد كنت أجد ساعدًا له شعر فأحم كثر ..

ولا يصعب على استنتاج صاحبه ..

لقد تضاعفت المشكلة .. فبعد ما كنت أهاب شيئًا
واحدًا غدوت أهاب عشرات الأثنياء المبعثرة هنا
وهناك ..

دعاني بعض الأصدقاء إلى جلسة في دار أحدهم ..
وكان الهدف هو دراسة تشریح المخ .. وبالتطبع يتم
التدريس على مخ إبتاعه أحدهم من عامل المشرفة
النهم إلى الدخان دائمًا .. كلهم يفعل هذا ..

فما إن جلست وأخرجوا المخ من كيس بلاستيكي
صغير ؛ حتى أدركت أن هناك تهتكًا واضحًا في الفص
الصدغي الأيمن ..

- « لا بد أن هناك من ضربه على هذا الفص فقتله ! »

قالها أحدهم وهو بمصمص شفطيه حسرة على
ضياح ماله في عينة فاسدة كهذه .. أما أنا فقد
وصنتي الرسالة كاملة ..

واعترت لهم وغادرت المكان ..

شريف :

الإخلاصة أنه جعل حياتك جحيماً ...

عصام :

كنت أفضى اليوم حائرًا ما بين التفكير في هجر
الكنية .. أو تسليم نفسي للشرطة .. أو الانتحار ..

لقد كان انتقام (العابر) كاملاً محكمًا ..

ثم .. أفكر تاريخ ذلك اليوم جيداً ...

كنت في المشرفة أعوض ما فاتني .. وكان الوقت

عصرًا وهو وقت هادئ مناسب جدًا للتحصيل .. إن

العامل يبقى المكان مفتوحًا إذا أنت راعيت حاجته

للدخان ..

رفعت :

كل هذه الأموال الطائلة من أجل الدخان ! حتى لو

كان يدخن سيجار (هافانا) فلا أحسبه بحاجة إلى

هذا المال ...

عصام :

لا أدرى كيف مرّ الوقت .. لكنى أفقت من تركيزي

لأدرك - فجأة - أنني وحيد جدًا .. والمكان صامت جدًا ..

والضوء قد بدأ يخفت حتى ليدخل في دائرة الظلام ..

أتابنى القلق .. لم لا ؟ إن شيئًا ما غير مريح في

كل هذا ..

اتجهت إلى الباب وناديت العامل مرة أو مرتين فلم
يرد ...

امتدت يدي في فلق إلى المقبض .. جربت فتحة ..
عندها أدركت أن حدسي كان صائباً .. لقد سجننت ها هنا !
لا بد أن العامل كان شارداً الذهن .. أو ذهب ليبتاع
بعض الدخان .. المهم أنه أوصد الباب بالمفتاح ..
وهانذا وحدي في هذا المكان المرعب بانتظار الظلام !
إنه لموقف رهيب نوعاً بالنسبة لأي طالب آخر .
أما أنا فلست كالأخرين .. أنا أعرف ما يوجد في هذا
المكان جيداً ...

لقد سنحت له الفرصة أخيراً ولن يتركها ...
فقا شعر رأسي حينما سمعت صغيراً .. ثم صريراً ..
ثمة ما يتحرك في هذه القاعة ..
نهضت كالمهلوف وضغطت زر الضوء .. الضوء
الحكومي الشاحب ينبعث ملولاً من مصباح واهن
معلق في السقف ..

كانت المفاد كما رأيتها صباحاً وعليها الأشلاء ..
من المستحيل تبين ما كان يخص (العابر) منها
وما لم يكن له ..

هنا حدثت الطامة الكبرى ...

لقد انقطع التيار الكهربى ..

وكان الظلام قد توغل إلى حد جعل الرؤية مرهقة
بالفعل .. لكن الهلع الذي استبد به جعلني أرى آلاف
الأشياء في هذا الظلام ..

رأيت فراغاً مغلبيبة تتحرك على الأرض صوبى ..

رأيت عينين حادتين ترمقتان في حقد وتحد ..

رأيت شارباً أسود يتحرك ذاتياً على الجدار ..

انتهى التعقل وجاء وقت الجنون .

ودون كلمة ولا صرخة اندفعت نحو النافذة ...

كانت المشرحة في الطابق الثاني لكنى لم أبال ..

وثبتت من النافذة وثبة حصان جموح .. ونجحت

الأشجار في تخفيف سقطتى .. لكنى هويت على

ركبتي فكنت - أو ربما فعلت - أهشمتها .. وبرغم الألم

رحت أركض لاهتاً .. مغفماً بكلمات لا معنى لها ..

مترنحاً .. فأصداً الباب الرئيسي للكلية .. وفؤادى

يخفق كجناح عصفور طنان ..

ورحت أركض في الشوارع المظلمة أرمق أضواء

السيارات الباهرة وأقول كلمات لا أفهم ما أعنيه بها ..

الخلاصة أنني جننت ...

رحت أجتاز الأرقعة المظلمة نحو داري .. وأنا نرى
الرجل في كل صوب من حولي .. وأسمعه يقهقه في
وحشية من ذعري ..

هنا اصطدمت بعابر سبيل في الظلام ..

كنت أوصل طريقى لكنه سببنى في فظاظه .. وقال
شيئاً ما عن الحيوانات العمياء .. فتوقفت ونظرت
إليه مشدوها ..

الشعر الفاحم ... الشارب .. النظرة الوقحة ..
الشامة على الخد الـ .. الأيسر لا الأيمن .. إنه هو !
لا لم يمت ..



وعندها تأكد لي أن اختلافاً كبيراً يوجد ما بينه
وبين (العابر) في المشرحة .. إنها ذات الصفات
لكنها لا تعنى تشابه الرجلين .. لقد اعتدت شكل
(عابر) المشرحة حتى نسيت وجه الآخر تماماً ..
وبشكل ما أقتعت نفسي بأنهما لذات الرجل .. لكنى الآن
أدرك خطئى .. إن الرجل الذى تشاجرت معه وأوقعته
هو المائل أمامى الآن .. ومن الواضح أنه لم يمت ..
أما من رأيت في المشرحة ونفص حياتى عاماً كاملاً
فهو مجرد شاب آخر له شارب وعينان حادتان ..
هنا لمحت نظرة تذكر فى عين الرجل .. وبشك هتف :

- « أنت اهل التقينا من قبل ؟ »

قلت كاذباً :

- « لا ... »

وأدبرت وجهى مبتعداً ..

- « انتظر ! »

صاح بى .. لكنى أطلقت لساقى العنان ..

لا أريد صداماً مع هذا الرجل بالذات ..

هو يريد الانتقام من الجرح الذى أصبته به يوماً ..

لكنه لا يدري أنه قد نال هذا الانتقام بالفعل .. وأنه

- لعام كامل - جعلنى على حافة الجنون .. بل إننى لم

أبني من الانتحار هذا الدنو قط ...

وهكذا انتهت هذه القصة .. ولا أرى ما تعليقك عليها يا د. (رفعت) ..

شريف :

نحن شاكرون لإسهامك يا د. (عصام) .. ويمكننا الآن أن نسمع د. (رفعت) .
رفعت :

لا يوجد ما يقال .. فهي قصة نموذج لـ (الرعب الموجه في اتجاه خطأ) .. ثم إنها ترينا كيف أن عقدة الذنب تستحوذ على العقل الباطن فتجعله يرى ما لا وجود له .. ولم يجد العقل الباطن هنا سوى المشرحة مكاناً لتلجث .. عندئذ لا بد أن تظهر جثة من تظن أنك قاتله .. إنها الأعيب (الأنا العليا) العتيبة ...
شريف :

وما الذي نتعلمه منها ؟
رفعت :

أكره لي أعناق القصص للحصول على مغزى ما .. ربما كان المغزى هنا هو : (إن كان لك شارب مثل شاربى فليس معنى هذا أننا نفس الشخص) .. أو : (لا تقتل عابري السبيل في الأرقعة ليلاً لأنهم يعودون دائماً) .. أو : (إن علمى المشرحة جميعاً يختلفون

في الوقت غير المناسب) .. هل هذا كاف ؟
عصام :

تمة إضافة أخيرة عرفتها مؤخراً .. يتحدث سكان الأرقعة التي كنت أجتازها عن شبح شاب ذى شارب أسود .. وشامة على خده .. يقولون إنه يقطع الطريق على من يعبرون الزقاق ليلاً

رفعت :

حقاً ؟

عصام :

يقولون إن هناك من قتله في هذا المكان منذ أعوام !
رفعت :

إنها لمصادفة طريفة حقاً

عصام :

ألا ترى شيئاً غريباً في الموضوع ؟

رفعت :

بلى .. أن الألسباح ذوات الشوارب قد تزداد عددها مؤخراً

شريف :

هل تعنى أنه نفس الشخص ؟

عصام :

هل ترى رأياً آخر ؟



الحلقة الثالثة

فكرة فير عادية

يحكيها : م - محمد عثمان

رفعت :

يريد القول إن (العابر) قد مات حقاً .. وفيه في تلك الليلة اصطدم بشبحة .. وفي كلا الحالتين - الصواب أو الخطأ - لا يوجد شيء من الصحة لمخاوف العشرحة .. إنني أتصحت يا دكتور نصيحة واحدة .. انس الموضوع برمته .. وتغلب على وتلك الشديد بالمشي في الأزقة ليلاً .. هذا هو كل شيء .. إن حياتك تنتظرك ولا داعي لإضاعتها في تساؤلات لا جدوى منها .. وإلا فعليك أن تتوجه لأقرب قسم شرطة لتخبرهم بما تظن أنك فعلته منذ أعوام ... بالمناسبة .. أعتقد أن اسمك ليس (عصام) حقاً .. الآن تأكدت من هذا .. وإلا لوجدت كل شرطة المدينة في دارك بعد عشر دقائق ..

عصام :

أنت محق .. ليس اسمي (عصام) ..
رفعت :

إن عمت مساءً يا من لست (عصام) ..
الفتى :

عمت مساءً سيدي .. وشكراً على إتصالتك

★ ★ ★

المقدمة

شريف :

صباح الخير سيداتي ساداتي .. (شريف المسعنى)
يحدثكم على الهواء مباشرة من ستوديو (٨) ..
ومعى هاهنا د. (رفعت إسماعيل) الذى سيستمع
معى إلى حكاياتكم ويناقشها ويقترح حلولاً لها ..
(صوت أوراق) .. جاءنى خطاب من (ع.م.ع) يقول
فيه إنه يمقت الكلام فى الهاتف ويرغب فى أن تحل
مشكلته المقروءة لا المسموعة .. وقد فعلنا ذلك ..
فليتفضل د. (رفعت) بالإجابة ..

رفعت :

لا تفعل يا (ع.م.ع) .. أرجوك ألا تفعل ... هذا
هو ردى !

شريف :

أئن تشرح مشكلته للمستمعين ؟

رفعت :

إنه لا يهوى إثارة وأنا كذلك .. وعلى كل حال
إذا كان يريد حلاً لمشكلته فقد وصله هذا الحل كاملاً
غير منقوص .. لا أعتقد أنه من هواة الشهرة ..

الحلقة الثالثة

فكرة غير عادية

يحكيها : م. محمد عثمان

« توجد طريقة واحدة لتقتل شخصاً يظن
الحمائم على نفسه من الداخل .. إن هذا سهل
جداً .. كما أن معرفة القاتل ليست مستحيلة .. »

(شريف) (فى ضيق) :

لكن المقصود من هذا البرنامج هو
رفعت :

ليكن .. إن (ع.م.ع) يعتقد أن ثلاجته ألمانية
الصنع مسكونة ! هذا يحدث كثيراً جداً مع الثلاجات
المصنوعة فى ألمانيا - لا بد أنها روح البارون
(لودفيج) أو أرشيدوق النمسا - لهذا نصحه ألا
يحتفظ بها .. إن الثلاجات المصنوعة فى مصر لا بأس
بها وغير مسكونة غالباً .. هل هذا كاف يا (شريف) ؟
شريف :

ولكن هذا سخيف

(رنين الهاتف) ..

ألو .. هنا برنامج (بعد منتصف الليل) .. من معى ؟
صوت رجل فى منتصف العمر :

أنا (محمد عثمان) .. مهندس من القاهرة ..
متزوج وأب لطفلين ... هل د. (رفعت) معك هاهنا ؟
رفعت :

بالتأكيد يا سيدى .. فلا شيء يقدر على إزالتها من
الوجود عدا الموت ..

محمد :

أنا الآن وحدى فى الدار .. إن زوجتى والأطفال
عند حماتى .. يبدو أنها واحدة من تلك المشاجرات
العائلية التى تحدث دوماً ولا تنتهى بالطلاق أبداً ..
رفعت :

أفهم ما تعنيه .. إن الطلاق شيء درامى جداً ..
وعنيف جداً .. إن من يطلقون شركاء حياتهم شجعان
جداً أو حمقى جداً .. أى أنهم يختلفون عنى وعنك ..
محمد :

لا أفهم تعبيراتك الملتفة هذه .. كل ما أعرفه أنها
تطلق على الآن نوعاً مشينة .. فلا بد أنها تسمع
ما نقول حالاً .. لكن هذا ليس هو سبب اتصالى ..
فالنساء دوماً غاضبات يرين أن أزواجهن حمقى على
طول الخط .. لا عنك ..

سأحكى لك يا د. (رفعت) حكاية عن مسابقة فى مجلة ..
رفعت :

غريب ! لا أقابل قصصاً كثيرة تبدأ بمسابقات فى
مجلات ..

محمد :

مجلة تافهة هى .. تحوى باباً عنى غرور (فكر وريح)

أو (للأذكىاء فقط) .. المهم أن هذه المجلة التعسة وقعت في يدي منذ ثلاثة أشهر .. ورحلت ألقب صفحاتها .. إلى أن وجدت هذا الباب وفيه وجدت هذه المعضلة الذهنية :

المفتش (سراج) - هذا يدك على أن للمعضلة أصلاً أجنبياً - هو رجل شرطة ذكي لا يفوته شيء .. يتم استدعاؤه إلى مسرح جريمة قتل في ذلك اليوم الممطر .. هل أنت معي ؟ حسن ...

القتيل كان في الحمام .. وقد قتلت زوجته عندما عادت للدار فلم تجده .. وقرعت باب الحمام الموصد من الداخل فلم يرد عليها .. استعانت بالبواب واستطاع أن يفتح الباب .. وكان هذا كافياً لتتطرق في الصراخ فلا تهمد أبداً كصفارة إنذار الغارات ...

هو ذا زوجها المحاسب الذي أتم عامه الأربعين منذ أيام ، ممثداً في حوض الاستحمام وقد غاب أنفه تحت الماء تماماً .. ولم يكن الأمر يحتاج إلى (قوميون) طبي لمعرفة إن الرجل ميت ...

وجاء رجال الشرطة وقتلوا إن الحادث نجم عن نوبة قلبية أو إغماءة أو اصطدام الرأس بالباقيو .. المهم أن هذا أدى إلى غرق المحاسب .. إن هذه

الأشياء تحدث دائماً .. ولا تستدعي سوى الحزن هنيئان الموضوع ..

وحتى هذه اللحظة يظل اسمه (المتوفى) لا (القتل) .. وهنا يصل عمنا الكبير المفتش (سراج) ليروي - كالعادة - ما لم يره الأغبياء الآخرون .. ويزيد الأمور تعقيداً ..

فهو يلاحظ آثار مقاومة في جسد المتوفى .. ويلاحظ أن المنشفة ملقاة في ركن ، وقطعة الصابون في ركن .. وأن الفوضى التي تجتاح الحمام توحى بوجود صراع .. هنا - ككل مفتش القصص - يشعل سيجاره في حنكة .. ويضيق عينيه مفكراً .. لماذا ومع من تشاجر المتوفى ؟ هناك من تعد أن يفرقه في حوض الحمام .. وبالتالي يمكننا يا سادة أن نتحدث عن المتوفى باعتبار (القتل) ونعتبر ما حدث جريمة قتل ..

هنا يفغر الكل أفواههم في غباء .. ويقول أحدهم : - « لكن هذا مستحيل يا سيدي المفتش .. لقد كان الحمام موصداً من الداخل .. ثم إنه لا توجد نوافذ فيه .. هذا يجعل دخول شخص آخر مستحيلاً .. ولو حدث لوجدنا الباب مفتوحاً .. »

هنا يقول المفتش في ثقة وهو يتأمل وجود الواقفين :
- « بالعكس .. توجد طريقة واحدة لقتل شخص
وحيد يغلق الحمام على نفسه من الداخل ، إن هذا
سهل جداً .. كما أن معرفة القاتل ليست مستحيلة »
وهنا توجه المجلة سؤاليين إلى القراء :

(أ) كيف تمت الجريمة ؟

(ب) من هو القاتل ؟

عزيزي القارئ .. أرسل لنا الحل مع عنوانك لتفوز
بجائزة قيمة هي ساعة يد (*). الحل ينشر بعد أربعة
أعداد ...

رفعت :

بالتسبة للثقة الثاني من السؤال أعرف أن الزوجة
هي القاتل ..

(شريفا) (باتيهار) ؟

كيف عرفت ؟

رفعت :

لا توجد شخصية سواها في القصة ا

(*) كان هذا النوع من الجوائز سائداً في الستينات . قبل أن
تصير جوائز اليوم من عيلة السيارات والثلث والجنبيات الذهبية ..

محمد :

دعنا من هذا الشق .. إن أي طفل يمكنه إدراك
ذلك .. تكن الشق الأول هو المشكلة الحقيقية ..

وكنت وقتها بحاجة إلى تحد عقلي .. وقبل هذا
كنت أريد ساعة يد محترمة .. لهذا قضيت الليل بطوله
أراجع فقرات النغل .. وأبحث عن الحل بين الحروف ..

رفعت :

في هذا النوع من القصص يكون هناك شيء
ماتعلق بالأمطار أحد الأبطال غير مبدئ .. أو يتعلق
بالمقعد الذي تغير موضعه .. أو ...

محمد :

لا شيء من هذا .. لقد توقعت هذا كله وبحثت
عنه .. تكن لا جدوى .. وفي الصباح رأيت زوجتي
احمرار عيني والخطوط المتشابكة التي رسمتها في
ورقة ، فظننت أنني جننت أو أخطط لسرقة بنك ..

لكني واصلت رسم أشكال تخطيطية للموقف .. وعندما
جاء المساء بخنت الحمام وأحكمت إغلاقه على نفسي ..
توجد نافذة لكنها مستحيلة الفتح لحسن الحظ .. ورحت
- جالسا على طرف حوض الاستحمام - أفكر في الوسيلة
التي يستطيع بها أحدهم الدخول إلى في هذا السجن ..

رفعت :

لا يوجد حل على ما أظن .. ما لم تكن الرجل
الخفى أو كتلة من الطاقة .

محمد :

بالعكس .. كان هناك حل .. وقد وصلت إليه فى
الساعات الأولى من الصباح .. ودهشتت تغفلتى
السابقة .. إن الحل أبسط مما توقعت .. لكنه حل
عبرى .. وعلى الفور رحمت أخط إجابتى على ورقة
وضعتها فى مطروف وأرسلتها إلى المجلة .. ورحمت
أنتظر اسمى بين الفائزين فى الأعداد القادمة ..

رفعت :

لا بد أن هذا حدث ما دمت تعرف أننا فى الواحدة
صباحاً .. لقد نلت الساعة إنن !

محمد :

كلاً .. صدر عددان من هذه المجلة المنحوسة ثم
توقف صدورهما لأسباب اقتصادية تتعلق بسعر الورق
وانخفاض معدل الإعلانات .. إلخ ..

ثم دارت بسى الحياة ، وبدأت فى المشاجرات مع
زوجتى ، وحضور جنسات الصلح مع أسرتها ، ولم
تكن أعمالى على ما يرام ، وأصيب أحد أطفالى

بحمى شوكية كاد يقضى بسببها لولا عناية الله ..

كل هذا كان كافياً لكى أنسى الموضوع بكل تفاصيله ...
إن مشاكل الحياة غيلان تلتهم كل طيور الإبداع أو
الترف الفكرى فى عقلك .. يقولون إن معاناة الفنانين
تجعلهم يخلقون فناً أصيلاً .. لا أظن .. ما كان (باخ) ليقدم
لنا رائعة من روائعه لو أن زوجته سليطة اللسان وابنه
فى شبه غيبوبة مخية .. أرنت القول إن نغز الحمام
هذا تراجع إلى مؤخرة اهتمامتى .. تراجع تماماً ...

ثم .. حدث ما أعاده إلى ذهنى بقوة ..

كان هناك خبر فى صفحة الحوادث بإحدى الصحف
يقول .. ولكن .. دعنى أقرأه عنك وقد لى ما تستخلصه
منه (صوت حفيف أوراق) ..

« تفرق فى الحمام إثر أزمة قلبية .. »

« كتب فلان الفلانى : توفيت زوجة فى الثلاثين من
عمرها فى أثناء استحمامها ، كانت المتوفاة قد
أوصدت باب الحمام عليها من الداخل وبدأت فى أخذ
حمامها اليومى ، حين سمع زوجها (فلان) صرختها ،
فتعاون مع الجيران على افتتاح باب الحمام ، حيث
تبين لهم أن الزوجة قد غرقت فى البانيو ، والتقل إلى
مكان الحادث كل من العقيد (فلان) والنقيب (فلان) .

ويرجع رجال الشرطة أن السيدة قد أصيبت بآزمة
قلبية جعلت رأسها يسقط تحت مستوى الماء ، ولم
تتمكن من الاستغاثة لأن الحمام كان موصداً عليها «
ما رأيك في هذا ؟

رفعت :

لا ينقص الأمر سوى مقتنك (سراج) هذا ...
شريف :

هل تعنى أن المصافحة قد لعبت دوراً ؟
رفعت :

ربما .. فالتناس يموتون في الباتيو منذ اخترعه
الرومان وحتى اليوم .. وسوف يظلون يموتون فيه
حتى تقوم الساعة .. إن هذا ليس دليلاً على شيء ..
محمد :

أنا أيضاً قتت ذلك لنفسى .. لكن اسم زوج الفقيدة
بدا لى مألوقاً ..
مألوقاً إلى حد غريب ..

وسرت القشعريرة في جسدى حين تذكرت أين
قرأته .. إنه سكرتير تحرير تلك المجلة التي أفضت
إن هذا يجعل الفرصة شبه معدومة في أن يكون
ما حدث صدفة ...

رفعت :

لحظة .. هل تظن أنه قد ؟

محمد :

حتمًا .. على كل حال .. بحثت عن اسمه في دليل
الهاتف .. وعرفت أنه يعمل حاليًا في دار نشر كبيرة ..
وقررت أن أذهب لأراه هناك .. فالفضول كان جامحاً
لدى كى أفهم اللغز ..

رفعت :

لحظة .. لم نقل لنا حل لغز المجلة بعد ..

محمد :

لا تسخر منى حين أقول إننى كنت قد نسيتك تماماً ..
نعم .. هذا ممكن .. لقد وجدت الحل بعد إرهاق عقلى
كبير وبعد منتصف الليل .. ثم إننى عرفت في المشاكل
بعد ذلك .. دعك من أنسى أرسلت الخطاب بمجرد
استيقاظى من النوم فلم أعد قراءته .. لقد كان الحل
عبقرياً سهلاً ممتنعاً .. وباعت كل محاولاتي بالفشل
كى أجده بعد ما ضاع منى .. كانت لحظة إلهام كإلهام
الشعراء سرعان ما تفتى وتذوب ..

شريف :

لنعد لقصتنا ..

محمد :

طلبت مقابلة الرجل ودخلت مكتباً فاخراً يجلس خلفه ثور أبيض ذو خولاء .. وكان يرتدي ربطة عنق سوداء على سبيل الحداد فهو أرمل (متماسك) .. أرمل حديث العهد بالترمل .. صافحته وعرفته نفسي .. وعزيتته على فقدان زوجته .. بدا مندهشاً لإمامي بدقائق حياته وهو لم يرني قط ..

ذكرته بالمجلة التي كان سكرتير تحريرها ، وبأنى كنت من قرأه شديدي النهم .. فأبدي سروراً .. وقال إن توقف صدور المجلة خسارة فادحة .. لكنه سعيد بعمله في دار النشر هذه التي تلقفت خبراته ونشاطه قبل أن يحاول الآخرون ..

ثم إنني دخلت في الموضوع مباشرة .. سألته عن مسابقة الحمام التي نشرتها مجلته قبل إفلاسها بأسبوعين .. فكت له إنني حلت الفوز وأرسلته لهم ..

بدا كمن يتذكر .. ثم ضحك متهمكماً لتفاهة اهتمامتي .. وقال :

- « الأمر كله كان دعابة .. لغز وجدته في مجلة

أمريكية فقامت بتعريبه ونشره بعد تحويل الملفتش (إيثرى كوين) إلي (سراج) .. «
- « والحل الصائب له ؟ »
قال بنفس الابتسامة الودود :

- لا أعرفه ! لم تنشر المجلة الأمريكية حلاً .. ولم أكن أتعلم على شيء سوى على رسائل القراء .. فمن يقدم حلاً يقتعني يفز .. «
ثم تلهد .. وقال :

- « على كل حال .. لم يتسع الوقت لتفكير الحلول .. ولم يصلني سوى ثلاث خطابات أو أكثر قليلاً .. ولا بد أنها جميعاً تحوى حلولاً غريبة »
- « حلى لم يكن غريباً .. ولو سمحت لي بإحضار خطابين .. »

قال في سأم وقد أترك لئني لن أقدم له سوى اثرترة :
- « لم تعد هناك خطابات .. لقد أحرقتنا الأوراق قبل أن نغادر مقر المجلة للأبد .. إنها صفحة قد زالت من حياتنا .. وهاك صفحة جديدة »
ثم ابتسم ونظر لي نظرة مناشدة أن أرحل فقد طال الوقت ..
وافترقتنا صديقين على ما أظن .. لكنني لن أنسى

إحساسى بنظرتيه الثاقبة فى مؤخرة عنقى حين أدت
ظهري له ..

رفعت :

أه ا ذلك الخوف العتيد من الأشخاص الودودين
أكثر من اللازم ..

محمد :

هو ما تقول .. لقد كان يظهر عكس ما يبطن حتماً ..
بعد هذا بدأت المطاردة

مطاردة فى شارعى .. فى عملى .. فى الحافلة ..
دائماً أجد ذلك الثور الأدمى يحاول أن يتظاهر بعدم
رؤيتى .. لكنه يراقبنى من بعيد .. من وراء عامود
نور أو صفحات جريدة أو كتف عجوز يقف أمامه فى
الحافلة .. عيناه تمان عن شر بهيمى ..

و حين تلتقى عيناتنا كان يعود لارتداء قناع المودة
البشوش .. فيضحك فى رقة - لو كانت الثيران
تضحك فى رقة - ويقول لى كم أن الحياة حبلية
بالمصادفات .. و (مصير الحى يتلاقى) ..

رفعت :

لا بد أن العبارة الأخيرة كانت تجمد الدم فى
عروقك ..

محمد :

حتمًا .. فهى تحمل من التهديد قدر ما تحمل من
الابهار بالمصادفات ..

شريف :

وكيف عرف عنوانك ؟

محمد :

هل نسيت أن عنوانى مدون فى خطاب المسابقة ؟
رفعت :

إن فلترتب أفكارنا .. أنت تعتقد أن الرجل قرأ خطابك ؟
محمد :

بالتأكيد .. ورائت له الفكرة التى حللت بها المعضلة ..
رفعت :

بالتالى قرر استعمالها مع زوجته لأن الشرطة لن
تفكر لحظة فى كون الحادث اغتيالاً .. من يدري ؟
ربما نشر اللغز فى المجلة طالباً اقتراحات القراء
بخصوص الأسلوب الأمثل لقتل زوجته ..

محمد :

وربما فكر فى الأمر بعد قراءة خطابه .. إن النتيجة
واحدة هى أن الزوجة قد قتلت بأسلوب من ابتكارى ..

رفعت :

ذلك الأسلوب الذي لا تذكر منه حرفاً ..

محمد :

نعم .. ولهذا يمكنك الرجل كل الأسباب التي تدفعه إلى الخلاص مني أو إسكاتي ، وأراهن على أنه يراقبني بحثاً عن فرصة ..

رفعت :

لماذا لم تقابل رجال الشرطة ؟

محمد :

فعلت وحياتك .. ذهبت إلى مديرية الأمن وحكيت لهم شكوكي .. لكنني بدوت بالنسبة لهم مخبولاً أو مبتذلاً .. فما هي علاقتي بطرفي الحادث ؟ وما هي مصلحتي في الإبلاغ وأنا لا أعرف مجرد اسم الزوجة ؟ ثم كيف يمكن قتل شخص في غرفة موصدة من الداخل ؟ قلت لهم إنني وجدت الحل ..

قلوا لي أن أثبت لهم كيف يتم هذا ...

هنا ارداد موقفي سوءاً لأنني اعترفت لهم بأنني نسيت .. لكم بدا لهم كلامي سخيفاً ومبتذلاً ! ونصحوني بالكف عن هذا الهراء قبل أن تتحول النصيحة إلى عقاب قانوني صارم ..

وزاد الأمر سوءاً أنني حين هبطت في درج مديرية الأمن ، لمحت على الرصيف المقابل ثوراً ذا خوار يتظاهر بأنه يمشي مصادفة - لو كانت الثيران تمشي مصادفة - في هذا الشارع بالذات ..

لقد رأني !

والمعادلة السهلة تتضح في ذهن الثور تدريجياً : أنا صاحب الحل + خبر موت الزوجة + سؤال عن الخطاب + مديرية الأمن + كارثة !

كارثة يمكن تلافيها بشيء من الجهد الجاد .. والدم طبعاً !

رفعت :

الحل الوحيد هو إثبات كلامك لنا ولرجال الشرطة ..

محمد :

وهذه هي كارثة الكوارث .. لقد سهرت ليلتين أو ثلاثاً في داري أحاول العثور على حل دون جدوى .. كان من حسن حظي أن زوجتي رحلت مع الطفلين غضبي كعادتها .. هي تحسب أنها بهذا تحرمني من نعمة وجودها ، في حين أنها تقدم لي أغلى نفائس العالم : الهدوء .

وهكذا - وحيداً في الدار - أحكمت غلق الأبواب ، ورحت أعيد التفكير في حل لهذه المعضلة ..

للمحاسب غارق في باتيو الحمام .. الباب موصل
من الداخل .. لا توجد نوافذ .. كيف يمكن الوصول
إلى هذا الرجل ؟



رفعت :

ربما لو كان الحمام مغلقا بكالون (لاشن) يفتح
بمفتاح من الخارج ..

شريف :

لا أحد يفتح باب الحمام بكالون (لاشن) .. كل
الناس تستعمل المزلاج .. أفكر في احتمال وجود باب
مضى للدخول والخروج ..

رفعت :

حتى في قصور (آل مديتشي) المشهورين
بالمؤامرات ؛ لم يخطر لعقري سواك أن يصنع بنا
سرياً للحمام

شريف :

المولا المنومة ! لم لا ؟ يدمن في شراك مادة
منومة لا تعمل إلا بعد دخولك الحمام فتغفو ويسقط
رأسك تحت الماء ..

رفعت :

فكرة لا بأس بها .. لكن توقيت هذا مستحيل ..
فهناك من يدخلون الحمام فور احتساء كوب العصير ..
ومنهم من يتلأ بحثاً عن منشفة أو (باشكير) .. أو
لمجرد مقته للاستحمام .. ثم إن الطب الشرعي قادر
بسهولة على تحديد أمور كهذه ..

محمد (في عصبية) :

اصمتا ! إنكما توتران أفكرى .. كل هذا هراء
وبعيد عن الحل الحقيقي .. إنني أحاول الدخول في
عالم القصة .. لهذا أحدثكما من الحمام !

رفعت :

الحمام ؟ كل هذه المعالمة ؟

محمد :

لم لا ؟ إن الهاتف معي ها هنا .. وقد أحكمت غلق الباب بالمزلاج من الداخل .. ولا توجد سوى نافذة واحدة موصدة بإحكام .. الباتيو ممتلئ بالماء .. كما أرجو لو تساعدني في حل هذا اللغز ..
رفعت :

لا بد أن منظرك يشبه الأفلام الأمريكية القديمة .. فكل بطلات الإغراء كن يتحدثن هاتفياً بينما هن في الباتيو متدثرات بفقايق الصابون .. يال (هونيوود) هذه !

محمد :

أحاول أن أحرك القشرة الرمادية التي تخفق أفكارى ..
أحاول .. أحاول .. الباب .. النافذة .. الباب ..
رفعت :

قل لي يا (باثمهندس) .. ألا ترى أن بقائك وحدك خطر في هذه الأيام .. إذا افترضنا جدلاً أن قاتل زوجته يحاول إسكات شاهده الوحيد ؟

محمد :

بلى .. بلى .. لكنني بحاجة إلى التركيز .. كف عن الكلام قليلاً .

شريف :

هذا أول متكلم يطالب الجميع بالصمت هاهنا ..
محمد :

الباب .. النافذة ... الـ ... (صوت صرير) .. هل .. هل تسمعان هذا ؟ يبدو أن توترى يجعلني أسمع أصواتاً غير مألوفة .. و .. (رفعت) ! إنه قائم ! لقد استطاع التسلل إنه يتحرك .. خلف .. خلف هذا الستار .

ثم .. لقد تذكرت ! تذكرت الحل للمعضلة ! لقد دخل بذات الأسلوب .. هيه ! ابتعد عني ! لا آآآآه !
(رفعت) (صوت صخب وعراك من الهاتف) :
ثمة ما يحدث هنا .. هل تقن أن ؟ آلو ! آلو !
(صوت ماء ينسكب .. حشجة مختنق يحاول التنفس) .

لقد هاجمه ! دخل بالأسلوب ذاته إلى حيث اختبأ (محمد) ..
لقد وضع هذا الأخير نفسه في وضع مثالي للقتل .. وبالطريقة التي ابتكرها !

شريف :

هل .. هل يمكننا عمل شيء ؟



الحلقة الرابعة

الثقة رقم (9)

يحكيها : مجهول الاسم

رفعت :

لا أدري إن مصرع المكالمة ... ألو !
(سيكون تام .. ثم يضع أحدهم السماعة ليقلق
الخط) ..

لقد انتهى كل شيء .. وأظن أن الثور ذا الخوار
نفسه هو من أعاد السماعة لمكاتبها وغادر المنزل كما
جاء ..

شريف :

هذا شنيع ! لقد سمعنا أحداث مصرع المهندس بكل
تفاصيلها ..

رفعت :

على كل حال لقد مات بعد ما أتبع فضوله .. لقد
تذكر .. أما نحن فلاسوف نحترق بنيران الفضول طينة
حياتنا ، ما لم نؤمن هذه القصة في أسرع وقت ...

* * *

المقدمة

شريف :

من جديد سيداتي سادتي نجلس جوار المذياع
وأجهزة الهاتف .. لتتعمق بحلقة جديدة من برنامجكم
(بعد منتصف الليل) .. إن نجاح هذا البرنامج يعود
لعم أنتم .. فأنتم تمدون آلة الرعب بالوقود الذي
يجعلها تعمل فلا تتوقف أبداً ..

(رفعت) (يتهد) :

أعوذ بالله من الحمق !

شريف :

معنا هنا ضيفنا د. (رفعت إسماعيل) .. إنه يقدم
بعبارة غامضة لا أسمعها لكنني أتوقع أنها تعبر عن
الترقب .. الترقب الملهوف لقصتنا التالية ..

(رنين الهاتف) ..

هالو ! (شريف السعدني) هنا .. من يتحدث ؟

صوت فتاة :

مساء الخير ! أنا (شيفين) .. هل دكتور (غفعت)

يسمعني ؟

الحلقة الرابعة

الشقة رقم (٩)

يحكيها : مجهول الاسم

« لكنهم - جميعاً - لم يتكلموا .. ربما نظر
أحدهم لك بعينين زائغتين وقال شيئاً ما عن
(الشقة الدنسة) .. ثم يصمت نهائياً ..

وكان هذا هو السؤال الذي أرقني يوماً ..

ماذا يحدث في الشقة رقم (٩) عندما يحل

الظلام ؟ »

رفعت :

أنا سمعت يا (شيرين) .. وأرجو أن تسامحيني
على نطقى الخاطئ نبحروف ..

شيرين :

كنت أعيد سؤالك يا دكتور .. لماذا لم تتزوج كخط
حتى الآن ؟ هل أنت معقد أو شيء من هذا القبيل ؟

رفعت :

لو ترجمنا سؤالك عن لغته الفرنسية لقلنا إنك
تتساءلين عن سر عدم زواجي .. وهل أنا معقد أم لا ؟
لا أدري يا (شيرين) .. أعتقد أنني لست معقدًا ..
والدليل هو : هل تقبلين الزواج مني الآن ؟

شيرين :

هكذا فوغًا ؟

رفعت :

فوغًا يا (شيرين) ..

شيرين :

لكن .. بسفاحة .. أنت لا تعفني ..

رفعت :

هذا سبب كاف لأعرفك أكثر .. ثم إن لدى ضعفًا
تجاه الفتيات ذوات اللثة ..

شيرين :

لا .. لا ! أنت أسلمع وشككك مفعب .. لقد كنت
أمزح لا أكتف .. باي باي !

رفعت :

وأنا كذلك أمزح يا (شيرين) .. باي باي !

شريف :

لقد أحسنت التصرف حقًا .. لقد كانت تحاول التسلية ..

(رفعت) (في رضا) :

لقد أثرت هلعبها .. فهي لم تتوقع أن أكون متحمسًا
إلى هذا الحد .. ولكني - برغم كل شيء - لا أجد
نفسى مرعبًا إلى الدرجة التي تصفها ..

(رنين الهاتف) ...

شريف :

ألو ! من معي ؟

صوت رزين خافت :

لا داعي للأسماء .. فليس هذا ناديًا للمراسلة على
ما أظن .. إن عندي حكاية لا بأس بها لهذا البرنامج ..

فهل تسمعونها ؟

شريف :

حتمًا .. ولكن أتمنى لو رفعت صوتك قليلًا ..

الصوت :

لا أستطيع .. لدى أسبابي .. أنا أتحدث من الشقة رقم (٩) المبنى رقم (٢٠٣) في شارع .. لا .. لن أقول الشارع ...

رفعت :

لا أستطيع أن أجد سبباً مقنعاً يمنع ساكني الشقة (٩) في مبنى (٢٠٣) من رفع أصواتهم عند الكلام في الهاتف ..

للصوت (يضحك في عصبية) :

لأنني متمسل يا حضرة الطبيب العبقري ... متمسل .. فليس هذا بيتي .

رفعت :

ولماذا تسألني أيها المتمسل الغامض ؟

الصوت :

ثمة أسئلة لا يمكن الإجابة عنها إلا بالتجربة وسرد القصة كلها .. لقد ولدت في هذا الشارع ياد .. (رفعت) وأعرف كل حجر فيه .. وكل خط بالطبشور على جدرانه .. ومنذ نعومة أظفاري وأنا أعرف أن الشقة رقم (٩) محرمة على الناس .. وأن بواب العمارة يقرأ آية الكرسي بشفتين مرتجتين حين يصعد أو يهبط ماراً

أمام بابها .. وأن أطفال العمارة ممنوعون من اللعب أمام هذا الباب .. إنه لتحريم يسمو إلى مرتبة القداسة الدينية .. وعقاب الطفل الذي يخالف ذلك قريية جداً من الإعدام ..

رفعت :

أعرف .. كان هناك في المنصورة بيت (الخضراوي) .. وكان يعامل معاملة شبيهة بهذه .. إن هذه الأماكن تتحول إلى (تابو) مقدس دائماً ..

الصوت :

إن السماسرة يحذرون الباحثين عن مسكن من هذه الشقة ، مضحين بفرصة لا بأس بها لتكسب .. صبي الكواء يأتي الصعود إلى الطوابق التي تعلوها .. أما من يسكنون تحتها مباشرة فلا يكفون عن الشكوى من أصوات الصراخ التي تتبع من داخلها .. والمطاردات التي لا تنتهي بين أشخاص لا تدري من هم ...

رفعت :

لا بد أن هناك حادث التحار أو قتل تم في هذه الشقة منذ أعوام .. فالقصة هكذا دائماً ..

الصوت :

بل هي قصة أكثر تعقيداً .. لقد كان هناك

- فى عام ١٩٤٦ - شاب يدعى (يوسف إسحق) ..
وهو صراف يهودى يعمل فى أحد البنوك .. يقولون
إنه كان مهذبًا جدًا .. وديعًا جدًا .. ويعيش فى هذه
الثقة بالذات .. ولم يكن متزوجًا ..

كان بعض الأصدقاء يزورونه من وقت لآخر ..
ولم يكن أحد الجيران يشك فى أمره بشكل خاص ..
ففى تلك الأيام لم تكن حرب ٤٨ قد نشبت بعد ..
والمصريون معروفون بالتسامح الدينى ، فلم يكن
لديهم عداوة خاصة تجاه اليهود .. كل ما هنالك هو
أن الفتى بخيل أكثر من اللازم ، معقوف الأنف أكثر
من اللازم .. فيما عدا ذلك لا يوجد ما يريب بشئته ..
لكن واحدة من الجيران لاحظت ملاحظة صائبة ..

هناك من يزورون الفتى بمعدل ضيف فى الشهر أو
أكثر .. كلهم يصعدون إلى شققته .. فلماذا لا تراهم
ينزلون منها ؟

لكن الجميع نسى هذا السؤال بعد حين .. فالعمارة كبيرة
ولا تقع فى حى شعبى .. بالتالى يغدو أمر من يصعد ومن
يهبط ومن يزور من .. أمرًا يستحيل الإمساك به ...

لكن الأمر افتح ذات يوم .. وكان مهولًا مريعًا ...
لقد أمسك أحد مخبرى المديرية بالفتى عند المقطم ..

وكان يحاول الخلاص من كيس قماشى كبير .. لقد
كان يقود سيارته (الأوبل) السوداء إلى هذا المكان
المتعزل ليتخلص من أحماله ..

فتح المخبر الكيس بحثًا عن مخدرات فلم يجد
لسوء الحظ .. كانت فى الكيس أطراف آدمية ..
رفعت :

أراهن على أن (يوسف) هذا وجد صعوبة فى
تفسير موقفه .. إن تفسير وجود أجزاء بشرية فى
حقيبتك عسير دائمًا ..

الصوت :

بالضبط .. إن استنتاجاتك تتسم بالعبقريّة ياد (رفعت) ..
رفعت :

وماذا حدث بعد هذا ؟

الصوت :

كانت قضية مدوية .. لقد اتضح لرجال الشرطة أن
(يوسف) هذا كان يستدرج من يعرفهم إلى شققته ..
ويقوم بتخديرهم .. ثم يعكف على استنزاف دماهم
بمديّة خاصة ...

(شريف) (فى هلع) :

يا للهول ! يستنزف الدماء ؟ لهه ؟

رفعت :

إنه يهودى .. فلن أدهش كثيراً لذلك .. كانت هناك قصة مريضة في القرن الماضي عن يهود (حارة اليهود) الذين كانوا يختطفون الأطفال - مسلمين كانوا أو مسيحيين - ليصفوا دماءهم .. ثم يقومون بمزج قطرات من هذه الدماء في الفطير الذي يلتهمونه في أعيادهم الدينية ... لا بد لهم من هذه البركة ...

شريف :

و .. وهل الديانة اليهودية بهذه القسوة ؟

رفعت :

ليست الديانة اليهودية بل ما صنعوه هم منها .. إن كتاب (التلمود) يضم العجب العجيب .. وفي جميع الأحوال لم يكتشف سر جرائمهم هذه إلا حين قرروا تجديد قائمة الطعام بصنف جديد .. مبشر مسيحي فرنسي هو الأب (توما) الذي أحدث اختفاؤه ضوضاء عامة .. وفي هذه المرة تم القبض على مرتكبي هذه البشاعات .. لكن من ضمن ألا يعودوا إلى العمل ذاته من جديد في أي وقت ؟ إنهم يعتبرون ذلك واجباً دينياً (*) ..

(*) حقيفة ..

شريف :

وهل كان (يوسف) مندرجاً تحت هذه القائمة ؟

الصوت :

بالطبع .. لقد كان لديه في الشقة رقم (٩) كل ما يلزم لممارسة هذه الهواية المسلية .. واعترف بالتفصيل .. وتم إعدامه شنقاً بعد محاكمة حاولت ضبط نفسها .. ووسط ارتياح كبير من الرأي العام ..

رفعت :

ومن يومها ظهر الشبح في الشقة رقم (٩) ..

الصوت :

بالطبع .. المزيد من استنتاجاتك العبقرية هاهنا !

رفعت :

ولكن شبح من ؟ شبح السفاح اليهودى أم ضحاياها ؟

الصوت :

أغلب المخمنين يقولون إن هناك عدة أسباب في الشقة .. شبح السفاح وشبح ضحاياها .. ولهذا تدور هاهنا مطاردات لا تنتهي طيلة الوقت .. يقول قاطنو الشقة السفلية إن هناك قطرات دماء تتضح من سقفها شقهم ليلاً .. لكنى أعتقد أن في هذا مبتغاة لا بأس بها ..

رفعت :

جميل ! وأنت تتحدث من هذه الشقة الآن !؟

الصوت :

طبعاً .. الشقة رقم (٩) ذاتها ..

رفعت :

وهل بها جهاز هاتف ؟ حسبتها شقة مهجورة ..

الصوت :

جرت محاولات عدة لسكنى هذه الشقة من أشخاص حسبوا أنهم لا يبالون بهذا الهراء .. لكنهم كانوا يهجرونها يوماً بعد شهر .. آخرهم مدرس قام بتركيب جهاز الهاتف .. ثم غادر الشقة .. وهو مواظب على دفع فاتورة الهاتف وإيجار الشقة إلى أن يجد مسكناً آخر ينقل الهاتف إليه ..

رفعت :

شقة مسكونة مريحة حقاً ! بالمناسبة .. ماذا قال ساكنو الشقة عما يحدث فيها ؟ لا بد أنهم رأوا ما يخيف ..

الصوت :

لم يقل أحدهم شيئاً ! الصمت ..! الصمت الترهيب .. وهذا هو ألتع ما فى الأمر .. فلو أنهم راحوا يثرثرون عن أشباح تعبر الصالة ليلاً أو تحرك قطع الأثاث لبدأ هذا معقولاً وتقليدياً ..

لكنهم - جميعاً - لم يتكلموا .. ربما نظر أحدهم لك

بعينين زائغتين وقال شيئاً ما عن (الشقة الدنسة) .. ثم يصمت نهائياً ..

وكان هذا هو السؤال الذى أرفقتى يوماً ..

ماذا يحدث فى الشقة رقم (٩) عندما يحل الظلام ؟

رفعت :

وكيف تسلك إلى المكان ؟

الصوت :

هذا هو سرى الخاص الذى أرفض ذكر اسمه بسببه .. إن الأمر مزيج من الحيلة والذكاء مع قدر لا بأس به من خيانة الأمانة !

رفعت :

لا بد أنك تتحدث عن مرقاة المفتاح من البواب ..

أو

الصوت :

لا داعى للاستنتاجات .. إتنى هنا وكفى .. والشقة

مغلقة على وحدى ..

شريف (فى حماس) :

إنها حلقة مثيرة حقاً .. هوذا مراسلنا يا سادة

يتحدث لنا من قلب الشقة رقم (٩) حيث لا يجرو

مخنوق عاقل على التواجد وحيداً .. ولنسوف يجعلنا

نرى ما يراه ونسمع ما يسمعه .. إنها لفرصة نادرة !
هل لنا أن نعرف سر اهتمامك بالاتصال ؟
الصوت :

بالطبع طلباً للسلوى وأن أشعر بأننى لست وحيداً
فى هذا المكان .. ثم إننى أمقت أن أضيع عليكم
الاستمتاع بفرصة كهذه ..
رفعت :

يبدو لى أنك شخص قوى الأعصاب إلى حد غير عادى ..
الصوت :

لأننى لا أومن بوجود عالم غير مكون من ذرات
كأربون وهيدروجين .. أو بوجود شىء غير قابل
للرؤية والسمع والشم والإحساس .. إننى ماضى جداً
إذا راقى لكم هذا الوصف ..
رفعت :

كنت أعتقد هذا الرأى منذ أعوام .. لكنى شفيت !
وعلى كل حال أنت لا ترى الأشعة تحت الحمراء ..
ولا تسمع الترددات فوق الصوتية .. ولا تشم غاز
الهيدروجين .. لكنها أشياء موجودة ..
الصوت :

الحديث عن الأشباح يختلف .. لكنى على كل حال

جنت بعقل منفتح تماماً .. ولنن رأيت شبحاً الآن
فلسوف أقسم لك إننى حمار كبير ..
شريف :

دعنا من هذا .. ولتحدثنا عن الشقة كما تراها ..
الصوت :

لا أرى الكثير مما يمكن وصفه .. فهى شقة من
الشقق لها مزايا وعيوب كل شقة أخرى .. لا توجد
وطاويط كثيرة ولا نسيج عنكبوت إذا كان هذا ما تصبو
إليه ..

إننى جالس فى الظلام - حتى لا يرانى أحد من
الجيران .. إن أضواء الشقق الموصدة تحدث مشاكل
دائماً - أستعين فقط بكشاف صغير أحطته بأسطوانة
من الورق المقوى .. أنت تعرف طريقة المقاومة
الفرنسية هذه لإرسال الإشارات إلى طائرات الحلفاء ،
دون بعثرة ضوء يراه الفلزيون .. إنهم يفعلونها دائماً
بنجاح ساحق ..

شريف :

إن صف لنا هذه الشقة العادية جداً ..

الصوت :

توجد صالة ضيقة جداً .. تقود إلى حجرة جانبية

هي التي أجلس فيها الآن .. ثم بعد هناك أثاث طبعاً
سوى هذا الهاتف .. وهو موضوع على الأرض
وعليه سحابة كثيفة من الغبار ..

هناك غرفتان أخريان يبدو أنهما مخصصتان للنوم ..
وهناك حمام يبدو أنه كان مخصصاً للطبوس إياها ..
أنا جالس على الأرض فوق خرقة من القماش
كأنت هناك .. معي - إلى جانب الكشاف - مسدس
ألماني من مخلفات الحرب ، ولقافة بها بعض الشطائر ،
وجهاز مذياع صغير أتابع به برنامجكم ..

وبالعناية .. برغم ثقتي بنفسى لم أستطع أن
أمنع نفسي من الجلوس وظهري إلى الجدار ..
رفعت :

أفهم هذا .. كما أجدب أنا الملاءة ليلاً لأدري عروق
رقبتي برغم ثقتي من أن مصاصي الدماء لا وجود لهم ..
الصوت :

إن للرب ملكوتاً غريباً يجبرنا على أن ..
لحظة ! أسمع صوت قطرات ماء قادمة من الحمام !
سأترك لحظة كي أرى ما هناك ..

شريف (في توتر) :

لزم الحذر أرجوك .. إنسى ..

الصوت :

سأعود حالاً .. (صوت وضع
السماعة على الأرض ..
صوت خطوات ..)

شريف (بعد دقيقة) :

إن هذا الانتظار يحطم
الأعصاب .. ترى ماذا سيحدث ؟
رفعت :

لا أرى .. لكن صنابير
الحمام تتلف سواء في وجود
أشباح أم عدمها ..

(تمر دقيقة أخرى) ..

أعتقد أنه تأخر فعلاً ..

(صوت لخطوات من جديد) ..

الصوت :

لا شيء .. إن الصنوبر يحتاج إلى (جلدة) ..

رفعت (يتهدد) :

دعني أصارحك أنك رجل شجاع حقاً .. هذا بالطبع

لو لم تكن تتلاعب بنا وكل هذه تمثيلية تؤديها تحت

ملاءة فراشك ..

الصوت (في حدة) :

لو كنت تشك في هذا دعني أنه المكالمة حالا ..
رفعت :

بل أصدقك .. إن صوتك وصوت الهواء حولك
والصدي يقولون إنك صادق .. أرجو أن تستمر من
فضلك ..

الصوت :

إنني في هذه اللحظة بالذات - أسمع أننا .. كأن
هناك من يتنأب في حجرة النوم .. هل تسمعه معي ؟
رفعت :

لا أدري .. لا .. إن حساسية الهاتف كما تعلم ..

الصوت :

سأذهب لألقى نظرة :

رفعت :

لكن .. لا تتأخر .. (صوت وضع السماعة على
الأرض والخطوات) .. أرجوك .. (يقول موجهًا الكلام
لـ (شريف) .. لو أن هناك جهاز هاتف لا يحتاج
لأسلاك !

شريف :

هذا نوع من الخيال العلمي .. دعنا ننتظر عودته ..

(صوت خطوات .. ثم شهقة) ..

هيه ! ماذا يحدث عندك يا أستاذ .. يا أستاذ
(متسلل) ؟

الصوت (في توتر) :

ه .. هناك .. لا .. لا شيء في غرفة النوم .. لكن
هنا .. هناك من فتح نفاثة الشطائر وقضم بعضها !

شريف :

أوثق من هذا ؟

الصوت :

كل الثقة ! أنا لم أكل لقمة واحدة منها .. إن هناك
من يعابثني هنا .. هذا يفوق كل منطق .. (رفعت) !

أنا خائف !

رفعت :

لا ألومك كثيرًا .. ربما فضلت أن تغادر الشقة الآن ؟
الصوت :

لا .. لا .. إن وجود فلران هاهنا أمر وurd ..
صحيح أن الفلران لا تقضم بهذا الانتظام كل هذا

الحجم من الخبز .. لكنه تفسير لا بأس به .. ألا ترى
هذا ؟ سأعود الجلوس والانتظار ..

رفعت :

إن الأشباح الجالعة لا تبعث الراحة في النفس عموماً ..

الصوت :

لن أعلق لأنني أسمع صوت خطوات .. و ..

(همساً) .. (رفعت) ! إنني أراه الآن .. إنه يعبر

الصلاة أمامي خارجاً من غرفة النوم ..

رفعت :

من هو ؟

الصوت (هامساً) :

شيخ رجل في الأربعين من عمره يرتدي معاماً

خضراء .. أراد علي .. علي ضوء خافت ينبعث منه

شخصياً ! إنه يضيء كأرقام الساعة في الظلام ..

إنه .. إنه يمشي يتؤدة متجهاً إلى الحد .. الحمام !

(رفعت) ! أنا خائف ! أنا أحقق كبير !

رفعت :

إن - وقد أثبت وجود أنتين كبيرتين - يمكنك

الفرار ..

الصوت (هامساً) :

لا أستطيع عبور الصلاة .. سيراتي ولكن .. ها هو

ذا يدخل الحمام .. أعتقد أنه لم يرنى قط ..

صوت مياه .. إنه يفعل شيئاً ما بالداخل .. ثم .. هو

ذا عائد إلى غرفة النوم .. لقد اطفأت الكشاف .. الظلام

دامن إلا من ضوء الرجل الخاص .. إنه يرمق غرفة

الهاتف في ريبة .. لو دنا مني فليسوف

حمداً لله ! إنه يواصل مسيرته ..

لقد اختفى عن عيني أخيراً ..

رفعت :

أشباح هذا البيت غريبة حقاً .. بعضها جاع

وبعضها مصاب بسئس البول ..

شريف :

هذا طبيعي .. فهم يمارسون حياتهم كما كانت ..

واضح أن ذا المعامة الخضراء هو (يوسف إسحاق)

ذاته ..

الصوت :

من جديد يسود الصمت .. سائير الكشاف من جديد ..

الثقة خالية تماماً .. سأحاول الآن أن أقوم بجولة

تفقدية .. سأرى ما يوجد في غرفة النوم هذه !

شريف :

لا تفعل ! لقد أثبت ما تريد .. حاول الآن إثبات

سرعتك في الركض ..

الصوت :

لا .. لا بد من أن .. لكن لحظة ! هذه المرة توجد فتاة شابة حسناء .. إنها في السادسة عشرة من عمرها أو أكثر قليلاً .. ترتدى قميص نوم أسود .. إنها تعبر الصالة .. بل هي تتجه إلى .. إلى الغرفة التي أنا فيها !

رفعت :

لا بد أنها من ضحايا السفاح .. هلا حاولت أن

(صوت صرخة أنثى) ..

هيه ؟ ماذا يحدث عندك ؟

صوت فتاة :

بابا ! ماما ! تعالوا حالاً (يبتعد الصوت) ..

الصوت :

حسن .. لقد فررت مني .. والآن يا دكتور (رفعت)

حان وقت الوداع .. لقد استمتعت بالحديث معك ..

وأعدت أن أكرّر التجربة مراراً ..

رفعت :

ما هو اسمك يا سيدي ؟

الصوت :

اسمي هو .. (يوسف) !

(صوت ضجيج .. أشخاص يتحدثون في صوت واحد) ..

صوت الفتاة :

هو ذا ! أقسم إنني وضعت السماعة بنفسى قبل النوم ..

وها هي ذي مرفوعة وموضوعة جوار الهاتف !

(صوت رجل) :

إن لم تكوني أنت في حجرة الجلوس ! لقد رأيت

الضوء وحسبتك تحدثين (نرمى) كعادتك ليلاً .. بل

سمعت صوتاً ..

(صوت امرأة) :

إن هو (بسم الله الرحمن الرحيم) كما قاتلوا لنا !

إن الشقة مسكونة !

الرجل (غاضباً) :

اصمتى ولا تكوني بلهاء .. الأتسباح لا تتسلى

بالكلام في الهاتف ليلاً ..

الفتاة :

لكن .. هناك شخصاً ما على الطرف الآخر من

الخط !

الرجل في حزم :

ألو !

رفعت :

د. (رفعت إسماعيل) يا سيدى .. مساء الخير !

الرجل :

مساء الهباب ! من أحكمك على الهاتف ؟

رفعت :

إن لدى بعض الاستنتاجات .. لكن قل لى أولاً : هل

ترتدى مخامة خضراء ؟

الرجل :

أعاكس فى ساعة كهذه يا وقع ؟

رفعت :

إن أساليب المعاكسة الهاتفية متعددة .. لكنها

لا تتضمن أن أرفع الساعاة من عندك بالتأكيد .. هذا

أسلوب فذ للمعاكسة .. قل لى : منذ متى جئت إلى

هذه الشقة ؟

الرجل :

منذ أسبوع .. لماذا تسأل ؟

رفعت :

لأننى أثرثر منذ ساعة مع من يدعى (يوسف) ..

وقد جعلنى أعتقد أنه هو الضحية وأنتم الأسياح ..

تصبحون على خير يا سيدى .. (يضع الساعاة) ..

شريف :

هل .. هل تعتقد ؟

رفعت :

بالطبع .. لقد عرفت أمباحاً كثيرة مصابة بالملل

وترغب فى المزاح القاسى مع البشر .. وأعتقد أن

ساكن الشقة رقم (٩) الجديد لن يظل بها طويلاً .. لقد

كنا نحدث (يوسف إسحاق) ذاته !

شريف :

والشيطانر .. والكثاف .. والشقة الخالية من

الأثاث .. والمسدس ؟

رفعت :

كذب .. ألعيب لا أكثر .. لقد كان فى كلامه شيئان

أثارا انتباهى للحظة ثم نسيت الأمر .. لقد تحدثت عن

المقاومة الفرنسية للنازيين باعتبارها ذكرى قريبة

جداً (وما زالت تحدث) .. ثم هو يتحدث عن مسدس

ألمانى من مخلفات الحرب .. كيف يحصل شاب

مصرى فى عام ١٩٦٩ على مسدس ألمانى من عام

١٩٤٣ ؟ إن الشبح ما زال يعيش بعقلية عام ١٩٤٦

الذى شئق فيه !



الحلقة الخامسة

قُلْ لِي يَا (أونكل)

تحتها : نهال فاروق

شريف :

إن تسلسل أثناء نوم الأسرة إلى الهاتف ليتصل

بنا ..

رفعت :

أعتقد هذا .. وأعتقد أيضا أن حياة الأسرة ستكون

مفعمة بالمفاجآت طالما أقامت فترة أطول في الشقة

رقم (٩) هذه ..

★ ★ ★

المقدمة

شريف :

مساء الخير .. أو - للدقة الجغرافية - صباح الخير ..
إن مديعكم (شريف المسعنى) معكم على الهواء
مباشرة .. لنبدأ برنامجكم المفضل (بعد منتصف
الليل) .. والبرنامج كما تعرفون قائم على تلقى
مكالماتكم التى تحكى قصصاً مثيرة أو مرعبة ..

رفعت :

إن قصصكم هى وقود آلة الرعب التى لن تتوقف
أبداً ..

شريف (فى عتاب) :

هذه كلمتى المفضلة ..

رفعت :

أرحت نفسى من سماعها للمرة العليون .. إن
الوقوف خلف المدفع يختلف كثيراً عن الوقوف أمامه ..
وأن تأثير أنت مثل الآخرين لخير من أن يثيروا هم
مثلك .. و .. (رنين الهاتف) ..

الحلقة الخامسة

قُلْ لِي يَا (أُونُكُل)

تحكيها : نهال فاروق

« إن وجود تمثال للشيطان - والعياذ بالله -
فى مكتبك لأمر جدير بإشارة الريبة فى حالتك
النفسية والعقائدية .. »

شريف :

ألو ! هل لي أن أشرف بمعرفة المتحدث ؟

صوت غليظ :

أنا (عباس) .. لقد استمعت إلى الحلقة السابقة
من البرنامج وبدأت لي سخيفة .. أنتم تستخفون
بعقول المستمعين ..

شريف :

أكرر مرة أخرى أن المستمعين هم صناعتو الحلقة
لا نحن .. لكني لا أفهم ما لم يرق لك بالضبط ..

عباس :

موضوع الرجل الذي يحاصره الذباب حيثما ذهب ..
تقولون إنها لعة معينة جعلته لا يجد لحظة راحة
واحدة (*) ..

أنا شخصياً محاط بحشد هائل من الذباب .. دون
أن أرى في هذا ما يستحق التهليل والتحليل ..
رفعت :

لا يصعب على استنتاج مشاكلك مع مياذ الحمام .. على
كل حال أعدك بالأناستخف بعقول المستمعين ثانية ..

(*) تفرغونها بالتلصير في (أسطورة ملك الذباب) ..

(رنين الهاتف من جديد) ..

شريف :

مرحباً .. (شريف السعني) يتحدث .. من معي ؟

صوت طفلة :

أنا (نهال) يا أونكل (شريف) .. (نهال فاروق) ..

شريف :

أرجو ألا يكون اتصالك جزءاً من طقوس العشاء ..

نهال :

لا أفهم .. أنا في السابعة من عمري .. في الصف

الثاني .. ما معنى (طقوس) ؟ إن أبله (مها) لم

تعطيها لنا في المدرسة ..

شريف :

لا عليك .. هل أنت وحدك ؟

نهال :

بابا نائم .. وماما سافرت ..

شريف :

سافرت ؟ إلى أين ؟

نهال :

لا أدرى .. مرضت طويلاً ثم لم تعد في البيت ..

بابا يقول إنها سافرت ! لم أرها منذ عام .. (مایسة)
تقول إنها ماتت .. أنا لا أدرى كيف يموت الناس ..
ربما مثل ما حدث لتكتكوت الذى ابتاعه بابا من
السوق لى .. فجأة لم يعد يأكل ولا يشرب ولا يفرق ..
صار نائماً طيلة الوقت .. بعدها قال بابا إن التكتكوت
قد مات .. ودفناه فى الحديقة فى عربة شاي
قديمة ..

شريف :

وهل حزنت عليه ؟

نهال :

قليلاً .. ثم يكن مملياً جداً .. لكن ماما كانت طيبة
وتغنى لى قبل النوم ..

شريف :

لكن ماما سافرت ولم

(هنا نظرت له نظرة جعلته يسكت .. لا داعى
للاسترسال فى الخداع المزرى لهذه البائسة الصغيرة ..
إن الصمت هو خير سياسة) ..

لماذا اتصلت وحدثك يا (نهال) ؟ ماذا أبقاك ساهرة
إلى هذه الساعة ؟

نهال :

أنا .. أنا خالفة يا أونكل ..

رفعت لـ (شريف) :

هذا هو بيت القصيد .. إن خوف الأطفال يخفى
دائماً أتفه الأسباب أو أشنعها ..

نهال :

هل أحكى القصة من أولها ؟

شريف :

طبعاً .. طبعاً .. خذى راحتك ..

نهال :

بابا يعمل فى الآثار .. إنه يبحث عن آثار هؤلاء
الناس الذين كانوا يعيشون فى مصر زمان .. وقد
أخذنا كثيراً إلى المتحف المصرى وإلى الأقصر
وأسوان .. رأينا هناك تماثيل كبيرة جداً .. وأخذنا إلى
السيرك فى العام الماضى حيث رأينا الأسود ..

رفعت (فى حنان) :

هكذا الأطفال .. أفكارهم خيول جامحة لا تثبت على
درب واحد .. كنت تتحدثين عن آثار قدماء المصريين
يا حلوة .. نسنا فى السيرك هنا ..

نهال :

نعم .. نعم .. الآثار .. كان بابا يحضر إلى البيت كثيراً من الأشياء .. أشياء حلوة .. تماثيل .. أوراق صفراء ملفوفة .. وفي مرة أحضر يد فتاة قديمة .. لم يرني أباهما .. لكنني دخلت مكتبه لألعب ووجدتها في الدرج .. يد سوداء قبيحة خفت منها كثيراً .. لكن بابا قال لي إنها لا تؤذي ..

رفعت :

والدك يحضر معه ما يجده من آثار ؟

نهال :

نعم .. ثم يأتي عمو (صليحة) .. ويشتريها منه .. إنه يأتي دائماً ليلاً .. وهو يرتدي جلباباً أبيض وعمامة !

رفعت :

والدك يبيع الآثار لـ (عمو صليحة) هذا !

نهال :

نعم .. نعم .. (تبتلع ريقها من فرط الحماس) .. وبابا يشتري لنا الأكل وأشياء حلوة كثيرة بهذا المال !

رفعت :

إن الأطفال لا يحفظون سرّاً .. الآن أنا متأكد من أن أباهما نائم في عمق ..

نهال :

وفي يوم من الأيام أحضر بابا لنا تمثالاً صغيراً لست .. تمثالاً وجدته وهو يحفر ..

شريف :

(ست) ؟ تعنين امرأة ؟

رفعت :

بل (ست) إله الشر عند الفراعنة وعدو (أوزيريس) اللدود .. إن حفظ الاسم ليس عسيراً على الأطفال يا (شريف) :

نهال :

كان التمثال مخيفاً .. لكن بابا ظلّ يقامله طيلة الليل .. كلما صحوت وذهبت إلى الحمام أجده جالساً في الصلاة ينظر للتمثال بنفس الطريقة ..

ماما لاحظت ذلك .. وقالت لي (هذا التمثال ملعون) .. لم أفهم ما تعنيه يا أونكل (رفعت) .. لكن هذا هو ما قالته ..

في الصباح قال بابا نفس الكلام .. لكنه لم يرم التمثال أو يبيعه .. بل وضعه على المكتب .. ومن يومها وهو هناك ..

رفعت :

هذا شائق .. يبدو أن التمثال ممن شينا ما في
أصاقه ..

شريف :

لكن (ست) لا وجود له .. إنه مجرد إله وثني ..

رفعت :

بعض المفكرين يرون أن (ست) محاولة وثنية
متخلفة للتعبير عن الشيطان .. إن وجود تمثال
للشيطان - والعباد بالله - في مكتبك لأمر جدير بإثارة
الريبة في حالتك النفسية والعقائدية ..

نهال (محنقة) :

هل ستتكنمان .. أم تتركاني أتكنم ؟

شريف :

بل سنخرس يا (نهال) .. تأكدي من هذا ..

نهال :

بعد أسبوع من حصول بابا على تمثال (ست)
جاءنا عمو (صليحة) ليلاً .. نخلت نهما بالشاي
الذي أعدته ماما .. كاتا يتشاجران بصوت عال - بابا
وعمو - ولم يلاحظا دخولي الحجره .. مثلاً كان بابا

يقول له (أنت نصن ! ما زلت مديناً لي بألف جنيهه) ..
وعمو (صليحة) يقول (علينا الطلاج لن نتقاضى
منى مليماً أحمر) ..

شريف (بحفر) :

هل تعرفين معنى (علينا الطلاج) هذه ؟

نهال :

لا .. سمعتها مرة في السينما .. يبدو أنها قسم ما ..
المهم أنهما كاتا يقولان كلاماً كثيراً من هذا النوع ..
كان بابا غضبان جداً .. ولم يشرب عمو (صليحة)
الشاي .. بل نهض وقال (أنت المسنون يا فاروج
بيه) ..

هنا رأيت بابا ينظر له .. ينظر له نظرة مخيفة ..
رأيت لون (النني) في عين بابا قد صار أحمر ..
أقسم لك يا أونكل .. (علينا الطلاج) كان أحمر !

رفعت (في ضيق) :

هذا هو أثر السينما وعدم اتقاء الكبار لألفاظهم
أمام الأطفال .. (نهال) .. هذه الكلمة سيئة وبذينة
جداً .. أفهمت ؟



نهال :

حسن .. المهم أضي خفت من بابا كثيرا .. يبدو أن
عمو (صليحة) أيضا قد خاف لأني رأيتك يرتعش ..
يرجع للوراء .. ثم يترك الدار سريعا ..
ثم .. ثم ظل بابا جالسا وقد غطي وجهه .. كان
يرتجف .. وأفز عني كثيرا .. فجأة سمعنا صوت
فرملة من الشارع ..
كان هناك ناس كثيرون .. وبابا منعني من الخروج ..
لكني سمعته يقول لعاما بعد ما عاد من الخارج إن
عمو (صليحة) داسته عربة ..
لقد ماتت كنتوتى الصغير .. في هذه الليلة لم أتم ..

قل لي يا أونكل .. هن سيعضونه في عتبة شاي
ويدقونه في الحديقة هو الآخر ؟
رفعت :

لا يا (نهال) .. فلا توجد عتبة شاي تناسب
حجمه .. للأسف ..
نهال :

بعد هذا جاء دور عمو (فرج) الجنائني ..
شريف :

آخرون ؟ هذا مريب حقاً ..

نهال :

كنت أحبه كثيرا .. كان يعطيني الخرطوم لأروي
الزرع بدلاً منه .. وفي مرة اصطاد بعسوبا وربط ذيله
بخيط .. وجعلني أمسكه ..

وجدته يتشاجر مع بابا .. يبدو أن بابا طلب منه
شيئا ولم يفعله .. هنا لمحت بابا ينظر له ذات النظرة ..
كان (الثني) أحمر في عينه .. وراح عمو (فرج)
يرتجف ..

في المساء جاء الطبيب وقال إن عمو (فرج)
مريض جداً .. في اليوم التالي لم يعد موجوداً .. قالت
ماما إنه سافر ..

رفعت :

وماذا فعل والدك ؟

نهال :

لا شيء .. أحضر تمثالاً آخر لامرأة ترضع طفلاً
ووضعه جوار تمثال (ست) .. لكنه ظل يجلس أمام
(ست) كثيراً جداً ..

رفعت :

(إيزيس) وابنها (حورس) .. لقد ظن (فاروق)
ببه أن (إيزيس) قد تمك القدره على مقاومة شر
(ست) .. كما ظن الفراعنة قديماً .. لكنني أتساءل :
لماذا لم يتخلص من التمثال ؟

شريف :

لقد استحوذ على روحه تماماً .. هذا واضح ..
وبعد هذا يا (نهال) ؟

نهال :

بعد هذا تشاجر بابا مع جارنا .. يبدو أن طائط
(سمية) قد جعلت خادمها يلقي القمامة في حديقتنا ..
ونجح الجيران في مصالحتهما ..

لكن عمو (صبرى) - جارنا - مات في حريق كبير

في الليلة ذاتها .. كانت النار تتصاعد من بيتهم ..
وجاءت عربة المطافئ بلونها الأحمر الجميل .. أنا
أحب عربة المطافئ .. لكنني كنت خائفة من النار ..

رفعت :

ألم تقل أمك شيئاً ؟

نهال :

صحت من النوم لأجدها تقول لأبى إنها مندهشة
أو شيء من هذا القبيل .. قال لها بابا إنه لا يعرف
السبب .. لكنه يعتقد أن (اللي بيجي عليه مايكسبش) ..

رفعت :

وهل كان والدك معكم حين حدث الحريق ؟

نهال :

طبعاً .. كنا نتفرج على فيلم مضحك جداً في
التلفزيون .. لكن بابا كان شاردًا .. وأكثر من مرة
غطى وجهه بيده ..

بعد هذا تشاجر أبى مع ضابط مرور .. وسمعت
بعدها أن الضابط مات ببطنه .. إنه ذلك الشيء الذي
ينفجر ..

رفعت :

الزائدة الدودية ! لا يمكن اتهام أحد هذه المرة ..
لكني ألاحظ إن أباك كثير الشجار حقاً ؟

نهال :

ماما تقول إن بابا (دمه حامى) ..

لكني رحمت أسألها : لماذا يموت أو يسافر كل واحد
يتشاجر مع بابا ؟

قالت لى (التى ييجى عنى بابا مايكسبش) ..

بكنها تشاجرت معه هى أيضاً !

رفعت :

حقاً ؟ أكان هذا منذ عام تقريباً ؟

نهال :

نعم .. صحوت عند منتصف الليل على صوت
الصراخ ، كانت أمى تقول كلاماً مثل (لقد أفسدت
حياتنا) و (تخلص منه أرجوك) .. وبابا يقول لها
(أنت جاهنة) و (أبعد كل هذا التعب ؟) ..

مشيت حافية لأسمع أكثر ..

ومررت أمام باب غرفة المكتب المفتوحة ..

عندما

شريف :

آههههه ! وم .. ماذا رأيت ؟

نهال :

كان التمثال يضىء بضوء أحمر .. ضوء يخرج
من العينين .. مثل اللعبة التى تعمل بحجارة البطارية
عندى .. لعبة دبا تضىء عيناها وأنفه .. ويمشى
وهو يدق طبلاً ..

فى نفس الوقت سمعت ماما تصرخ :

- « (فاروق) .. لماذا تنظر لى هكذا ؟ (فاروق) !

ماذا أصاب عينيك ؟ »

وبعدما أنطفأت عينا التمثال ..

وجريت أنا خائفة إلى الفراش .. فغطيت وجهى

وأنا أرتجف ..

رفعت لـ (شريف) :

هذا الجزء يفسر كل شيء .. إن التمثال هو المعادل

الموضوعى للأب .. وهو يرسل إشارة الشر إلى فيه فى

لحظات الغضب ..

لـ (نهال) .. بعد هذا مرضت أمك طبعاً ؟

نهال :

فى الصباح لم تنهض من الفراش .. ولم تعد لنا

الإفطار مع دادة (سعدية) .. وقال بابا إنها مريضة ..
وجاءت خالتي (زهيرة) لتأخذني لدارها حيث أتعاب
مع (مایسة) و (مجدى) ..

بعد أسبوعين عدت للبيت حيث أخبرنى بابا أن ماما
مسافرة .. ومن يومها وأنا أعيش مع بابا وحدنا ..
أنا أحبه كثيراً .. لكنى خائفة منه ومن التمثال ..
وخائفة من أن يتشاجر معى وتحمر عيناه ..
رفعت :

لهذا نهضت من النوم وجئت تتصلين بنا .. كيف
عرفت الرقم ؟

نهال :

بابا كان يريد أن يكلمك ! وجدت النمرة جوار
الهاتف ..

والآن قل لى يا أونكل .. ماذا أفعل ؟

رفعت لـ (شريف) :

يمكننا الآن فهم القصة .. إن تمثال (ست) قد
أصاب الرجل بلعنة خاصة جداً : إن من يثير غضبه
يحكم على نفسه بالموت .. ونظرته شبيهة بعلامة
(الليزر) الحمراء التى يصوبون بها على الهدف فى
البنادق الحديثة ..

والآن اسمعى ما أقول يا (نهال) ونفذه حرقياً ..
هل أنت خائفة من الخروج إلى الحديقة الآن ؟
نهال (بعد صمت محرج) :

نعم ؟ أنا خائفة .. لا .. لا .. لست خائفة !
رفعت :

هذا جيد .. الخطر لا يكمن فى الحديقة بل فى هذا
البيت الذى تتكلمين منه .. قولى لى .. هل عندك علبة
صغيرة ؟ أى علبة ؟

نهال :

نعم .. نعم .. عندى علبة كبيرة كنت أضع فيها
دميتى ..

رفعت :

حسن .. سندخلين إلى المكتب الآن .. وتضعين
تمثال (ست) مع التمثال الآخر - تمثال الأم - فى
ذات العلبة .. بعد هذا تخرجين إلى الحديقة ..
وتدفنين العلبة كما فعلت بالكتكوت .. مفهوم ؟

نهال (فى تردد) :

لكن .. لكن .. الظلام

رفعت :

الظلام ليس مخيفاً .. المخيف هو ما ينتظرك لو لم
تفعل ما أقول ..

شريف :

ماذا تحاول عمله بالضبط ؟

رفعت :

لا أرى هل تنجح أم لا .. إن (إيزيس) هي عدو
(ست) الدائم .. (إيزيس) هي الجمال والأمومة
والخصوبة والحنان .. ربما لو دفناها مع (ست)
كانت قادرة على إبطال شره ..

شريف :

كلام نظري أكثر من اللازم ..

رفعت :

هيا يا (نهال) .. تحركي ..

نهال (مذعورة) :

لا وقت يا أونكل .. لقد استيقظ بابا اقل لي
يا أونكل : ماذا أفعل ؟

صوت غليظ يمسك السماعة :

ألو ! لقد كنت أتصت لسماع ما تقوله (نهال)

يا دكتور (رفعت) .. عرفت أنها تحدثك .. وأنها
جعلت من أبيها وحشاً كاسراً مرة .. وضحية للسحر
الأسود مرة أخرى .. هذه الفتاة تهرف يا د. (رفعت) ..

تهرف .. ولنسوف أعرف كيف أربيها !

نهال (في هلع) :

لااااه ! ابني أقول تصدق يا أونكل !

(صوت نزع على سماعة الهاتف) .. بابا !

لا تنظري هكذا ! ماذا لها عينيك ؟

رفعت (صارخاً) :

(نهال) ! افعل كما قلت ! اركضى إلى المكتب

حالا ..

نهال :

سأفعل .. سأفعل ! (صوت خطوات تركض) ..

الأب (ضوته يبتعد) :

أيتها النعينة ! سأعرف كيف

(صوت مطاردة ، صراخ ، أبواب تغلق) ..

شريف :

ليتلى أعرف ما يدور هناك ..

رفعت :

إن أسنوب الهاتف هذا يشعرني بالعجز .. لا أذكر

كم مرة سمعت صوت جريمة قتل وأنا لا أدري كيف
ألتصرف ..

الأب (لاهثاً) :

لقد فرت المجنونة إلى الحديقة ومعها تمثال فرعونى
كان على مكتبى .. لن أجدها فى هذا الظلام .. هلا
فسرت لى ما يحدث هنا ؟

رفعت :

أعتقد - بعد هذه المعالمة - أنك الأجدر بالتفسير ..
الأب :

تفسير ماذا بالضبط ؟

رفعت :

مصرع (صليحة) .. ومصرع الجنائلى (فرج) ..
وجارك الذى تشاجرت معه .. ورجل المرور ..
وزوجتك ..

الأب :

أولاً : زوجتى تعانى من السرطان منذ عامين ..
إنها نهاية محتومة ..

ثانياً : الجنائلى أصيب بلزمة قلبية وهذا مسموح
به كما أظن ..

ثالثاً : جارى أحمق حاول إحراق القمامة فى
حديقته ولم يدرك أن الريح تتحرك فى اتجاه داره .. أما
عن رجل المرور فلا أعرف عنه شيئاً .. ومن العسير
أن تشاجر مع رجل مرور عموماً ..

رفعت :

لماذا ؟

الأب :

لأننى لا أملك سيارة .. هذا من حقى على ما أظن ..
رفعت :

وماذا عن تاجر الآثار (صليحة) هذا ؟

الأب :

لماذا أتعامل مع تاجر آثار وأنا محام ؟!

رفعت (مذهولاً) :

محام ؟ محام ؟ لكنها قالت

الأب :

نعم محام يا سيدى .. هو ذا عنواتى (يذكر العنوان)
ورقم هاتفى (يذكر الرقم) .. يمكنك أن تتصل بهذا
الرقم للتحقق من المعنومة التى أوكلتها .. إن لى
صديقاً يدعى (صليحة) .. لكنه حتى يرزق حتى هذه
اللحظة ..

رفعت :

وتمثال (ست) هذا ؟

الأب :

لدى تمثال فرعونى فى مكتبى ابتعته من (خان الخليلى) .. ولا أدري من يمثل .. إن التماثيل الفرعونية كلها تتشابه ..

شريف :

لكن (نهال) حكّت قصة معقدة جداً عن نعمة (ست) التى أصابك ، وجعلت لك نظرة مهلكة لكل من يثير غضبك ..

الأب :

هذه هى مشكلة الطفلة .. إنها تعيش فى عالم خيالى دائم .. وتخلط بين الحقيقة والخيال .. إنها لا تثق بى .. وتؤمن بأننى أحاول الفتك بها .. يقول الطبيب النفسانى إن هذا ناجم عن مشاجرتى الأخيرة مع أمها والتى تلاها تدهور الأم مباشرة .. ثم إرسالها لتعيش عند خالتها .. وحين عادت كانت الأم قد ماتت - رحمها الله - وقيل لـ (نهال) إنها قد سافرت .. كل هذا جعل (نهال) تعتقد أننى خصمها .. وأننى سبب فقدها للأم ..

ثم إن (نهال) تمكّت هواية تليفزيون أحداث لم تكن ، ولها موهبة قصصية غير عادية .. وذكاء يفوق عمرها بمراحل ..

لقد داعبت الجميع مداعبة قاسية .. خدعتكم وأساعت إلى سمعى .. لكن الحقائق لا تخرج من أفواه الأطفال دائماً .. أنا كرجل قائلون أعرف هذا ..

رفعت :

الحق أن هذا وضع محير يا أستاذ (فاروق) .. كلامك يحتمل الصواب تماماً .. وكلامها يحتمل الصواب تماماً .. من العسير معرفة الحقيقة ..

على كل حال .. أشكرك .. وأرجو أن تعاود البحث فى الحقيقة عنها .. وحاول ألا يؤذيها شيء فى الأيام القادمة ، وإلا تأكدنا من صواب قصتها .. (يضع السماع) ..

شريف :

ما رأيك فى كل هذا ؟

رفعت :

لحظة .. ليس قبل أن أطلب الرقم الذى نكره .. لقد دولته هنا .. (يدير قرص الهاتف .. صوت رنين متصل) ..



الحلقة السادسة

الحافلة

يحكيها : عباس الكروزي

شريف :

لا أحد هناك ..

رفعت :

هذا دليل كاف على صدقه .. من الطبيعي أنه يبحث عنها في الحديقة الآن .. ولو كان الرقم زائفا لرد علينا شخص متذمر أو امرأة مذعورة إثر الاستيقاظ من النوم .. وعلى كل حال يمكننا التأكد من العنوان غدا ..

شريف :

الاعيب الأطفال هذه !

رفعت :

لن نكف عن التعلم طيلة حياتنا .. وفي كل لحظة ندرك أننا مازلنا سهلي الخداع كالأطفال .. نكنسى أومن بأن هذا البيت يحوى مأساة إنسانية حقيقية أمل أن يعالجها الأطباء ..

نعم نحن لن نكف عن التعلم وارتكاب حماقات ، حتى نحسين ساعتنا وندفن في صناديق شاي كبيرة تحت تراب الحديقة ..

★ ★ ★

المقدمة

شريف :

صباح الخير أعزائي .. هو ذا (شريف السعدني)
معكم في الساعات الأولى من يوم الجمعة .. ونحن
بانتظار قصتنا التالية التي أرجو ألا تقل جودة عن
قصة الأسبوع الماضي ..

رفعت :

هذا ما أرجوه .. وأتشم أن تخلو من مصاصي
الدماء والمذعوبين والقبور المفتوحة لأن هذا قد صار
معلًا ..

شريف :

إن هذه هي مفردات الرعب يا د. (رفعت) ..

رفعت :

بالعكس .. هذه هي مفردات الرعب لدى القصص
المصورة ومجلة (أ. س. كومبيكس) .. لكن الرعب
عالم لا ينتهي .. وكما قلت لك في أول حلقة إن الرجفة
التي تشعر بها حين تجد جهاز التلفزيون يعمل وحده ،
لتعادل أي رعب تحدثه الوطاويط والموميوات الحية ..

الحلقة السادسة الحافلة

يحكيها : عباس الدكرودي

« لا شيء على الإطلاق .. الشارع المقفر
المظلم في ضوء واهن لعمود نور واحد نسيبت
البلدية أن تهشم مصباحه .. لا شيء .. لافتاة ..
لا رجل .. »

ثم إن هناك بعد الرعب النفسى .. حين تشعر بأنتك
عاجز عن معرفة ذاتك .. شىء ما فى داخلك يتغير
ولا تدري كنهه ..

(رنين الهاتف) ..

شريف :

ألو ! من المتكلم ؟

صوت قلق :

أشعر أنتى عاجز عن معرفة ذاتى .. شىء ما فى
داخلى يتغير .. ولا أدرى كنهه !

رفعت :

يا لها من مصالفة ! إنه يمزح إنن !

شريف :

لا أظن .. ما كان ليملك رد فعل بهذه السرعة ..

من أنت يا سيدى ؟

الصوت :

أنا .. أنا .. (يغلغ السماعه) ..

شريف :

لقد أنهى المكالمه .. دعابة ثقيلة هى حقاً ..

رفعت :

الحق أنه اتصل بنا أسرع من اللازم كما تقول ..

وإبنى لأسماعل .. (رنين الهاتف) ..

شريف :

ألو .. هل أنت الأخ الذى يتغير داخله ؟

صوت غليظ :

عم تتحدثك ؟ أنا (عباس الكرورى) ..

شريف (متداركاً) :

مرحباً بك فى برنامجنا يا أخ (عباس) .. يمكنك

أن تحكى مشكلك ..

عباس :

أنا .. أنا محصل التذاكر فى حافلة .. لن أنكر

رقمها ولا الخط الذى أعمل عليه .. لا أريدهم أن

يعرفوا من أنا ..

شريف :

تفكير حويط لولا أنك ذكرت اسمك الكامل ..

عباس :

بالتطبع هو اسم مستعار .. ظننتك نبيها متعلماً

لتحدث ذلك ..

رفعت :

(عباس الكروري) ! اسم معقد جداً كي يتم ابتكاره ..
بك تملك موهبة أدبية لا شك فيها يا أخ (عباس) ..

عباس :

كان هذا هو اسم (صول) عرفته في الجيش ..
وهو ما تبادر إلي ذهني قبل الاتصال .. المهم .. دعنا
من هذا الكلام الفارغ ..

قلت لكما إنني محصل تذاكر .. وقد فرغت من
عملي منذ ساعتين .. لقد حكيت مشكلتي للجميع لكن
لا أحد يهتم بها ولا أحد يصدق ..

لهذا أردت أن أجرب هذا البرنامج ..

أتحدث إليكما من هاتف البقال الذي أسهر معه حتى
التفجر .. إنه صديقي الوحيد .. ومحله تحت داري
مباشرة .. لكنه ليس جوارى الآن ليسمع حرفاً مما
أقول .. (صوت قرقرة) .. لا أستطيع النوم مالم
أخذ كرسيّاً من المعسل معه .. (صوت قرقرة) ..

رفعت :

جميل منك أن تبدأ بوصف الظروف البيئية .. لكنني
أقترح أن تدخل في الموضوع مباشرة ..

عباس :

(معالي) .. كح كح ! تود تود ! صيرك علي ! كح
كح ! كنت أقول إنني محصل .. محصل ماذا ؟

رفعت :

تذاكر .. علي خطّ لن تذكره ..

عباس :

الله ينور عليك .. (صوت قرقرة) .. بدأ كل
شيء من شهر .. لا بل من شهرين .. كنت أعمل في
وردية المساء .. وأنا أحب العمل مساءً لأنه أكثر
راحة .. الأرباح قليلة .. وضغط العمل معقول جداً ..
ثم إن زبائن الليل أكثر هدوءاً وأقل عصبية ، وأكاد
أعرفهم واحداً واحداً .. فهم يتكزرون أكثر الوقت ..

صعدت تلك الفتاة إلى الحافلة ، ومدت يدها بورقة
نقد تطلب تذكرة .. كنت جالساً في مقعد المحصل
نصف غافٍ .. لكنني رأيت أمامي أجمل وجه رأيت في
حياتي .. أية تقاطيع ! أية عينين ! صحيح أنها كانت
نحيلة - وأنا أحب البدينات - وصحيح أنها ترتدي
السواد .. لكنها كانت أجمل الجميلات حقاً ..

وجلست جوار النافذة على مقربة مني .. وراحت

تتأمل الشوارع في شروود .. ثم مدت يدها إلى حقيبتها
فأخرجت شطيرة راحت تقضم منها وتواصل النظر من
النافذة ..

لم ترفع عينها قط .. ولم تدر بنظرها في المكان ..
(صوت قرقرة) .. صدقتي .. والله على ما أقول
شهود ..

بعد ثلاث محطات صعد هو

جدار آدمي يرتدى جلباباً أزرق .. في عينيه حول
بسيط .. ناوتني ثمن التذكرة ثم مشى بين المقاعد ..
توقعت أنه (نطع) وأنه سيجلس جوار الفتاة الوحيدة
ليضايقها .. لكنه مشى إلى مقعد خال على بعد صفين
منها، وجلس .. وراح ينظر خارج النافذة ..

عدت أختلس النظر إلى الفتاة ، فوجدتها قد تغيرت
كثيراً .. لم تعد تنظر خارج النافذة .. بل هي تنظر
إلى الرجل في رعب .. وحياتك لم أر رعباً كهذا في
حياتي .. لقد كفت عن الرداد الشطيرة .. ثم كومت
ما بقي منها في ورقة جريدة وأعادتها لحقيبتها ..

كانت خائفة حقاً .. ورحت أسأل نفسي : ترى
يا بنت الناس لماذا أنت خائفة هكذا ؟ أتراد لص حقالب

بضاردك ؟ أتراد ممن يهاجمون النساء وأنت قارة منه ؟
أتراد زوجاً يحاول استردادك بعد الطلاق أم خطيباً
غيراً ؟ أم ماذا ؟

ثم قلت لنفسي : لا تتدخل فيما لا يعنيك يا (فؤاد) ..
ربما الفتاة لصة بطاردها هذا المخبر .. لم لا ؟ هذا
الجسد العملاق لا بد أن يكون لمخبر .. (صوت
قرقرة) ..

في المحطة التالية لم ينزل أحد .. وصعد شاب
رقيع مراهق من أولاد هذه الأيام .. وطبعاً لم يجد
الوغد مكاناً للجلوس سوى المقعد الشاغر جوار الفتاة ..
وراح يتسّم ويتعمك محاولاً تعرفها .. بيني وبينك ..
أنا لا أطيق المسخرة .. لهذا أمرته في حزم وعيني
تطق شرراً أن يجد لنفسه مقعداً آخر .. قال لي في
رقاعة إنه قطع تذكرة ومن حقه أن يجلس حيث يشاء ..
فأطلقت عليه سيلاً من السباب لن أذكره هنا لأننا على
الهواء .. المهم أنه قام ووجهه كالطمطم عاجزاً عن
غلق (جاعورتي) التي انفتحت ..

رفعت :

متى ستبدأ القصة يا أخ (فؤاد) ؟

عباس (ميصير اسمه [فؤاد] من الآن) :

ك .. كيف عرفت اسمي ؟

رفعت :

هذه مهنتي .. أن أعرف أشياء تحاول إخفاءها ..
والآن هلا بدأت سرد المشكئة ؟

فؤاد :

ليكن .. غريب أن تعرف اسمي وأنا لم أفقه ..
ما علينا .. أين كنا ؟ أه .. حين زجرت الولد الرقيق
الخنفس .. يبدو أن هذا جعل الفتاة تعتقد أنني قادر
على حمايتها ..

رأيتها - للمرة الأولى - تنظر في اتجاهي ..

ثم نهضت محاولة ألا تفقد تولانها بينما الحافلة
تتحرك ، وجلست على المقعد المجاور لي تماما ..
وقالت كلاماً كثيراً ..

أعنى أنني لم أفهم حرفاً في البداية لأن صوتها كان
خفياً جداً .. ثم بدأت أفهم أنها تطالبني بحمايتها من
ذي الجلباب الأزرق .. كان ضمن ما قالته هو أنه
يريد قتلها .. وأنه يقتفى أثرها عبر شوارع المدينة
منذ ثلاث ساعات .. وأنها حاولت الفرار أو أن تفقده
عبر المواصلات لكنه كان يجدها دائماً ..

طبعاً - (صوت قرقرة) - سألتها عن السبب الذي
يجعل ذلك (النطع) يرغب في قتلها .. لكنها قالت
إنها لا تدري ..

كح كح ! وأنت تعرف بالضبط أن آخر شيء يمكن
للرجل أن يرفضه ، هو تقديم العون لفتاة حسناء
تستغيث به .. ساعتها يمكنه أن يحرك الجبال أو يشرب
النيل كله .. وكان في مقدوري وقتها أن أمزق هذا
الرجل تمزيقاً .. لكن المشكئة هي أنه حتى هذه اللحظة
كان جالساً مهذباً وفي حاله ، يتسلى بمراقبة الشارع ..
إنه فلاطلب من السائق أن يتجه إلى قسم الشرطة ..
لكن الفتاة توصلت إلى ألا أفعل ..

إن ما هو المطلوب مني بالضبط ؟

لا شيء .. كل ما تريده هو أن أظل بجوارها حتى
نهاية الخط .. فقد سبقها الرجل بالنزول أو يشعر
بأنها ليست وحيدة ..

ثم خطرت لي فكرة أفضل ..

قلت لها أن تنزل في المحطة التالية .. وتعود
لدارها بالمواصلات - عرفت أنها من (السيدة زينب) -
وأنا سأؤكد من أن الرجل لن يهبط وراءها .. وقت

لنفسى إنها لو كانت صادقة سيتحرك الرجل مستعداً
للنزول بمجرد أن تصل هي إلى الباب ..

وبعد ثوان توقفت الحافلة فألثرت لها على تهبط ..
فما إن وصلت إلى درجات السلم حتى رأيت الرجل
يتأهب للنهوض .. مشيت نحوه .. وصحت فيه :
- « أين تذكرت يا هذا ؟ ألم أطلبها منك ؟ »
وأطلقت صفارتي كى تتحرك الحافلة قبل أن يجد
رداً ..

أرغى الرجل وأزبد وهتف بصيح بالسائق :
- « انتظر ! إن هذه محطتى .. » - ثم صاح فى
وجهى - « هل تتعاطى شيئاً ؟ ها هي ذى تذكرتى ..
هل أفقأ بها عينيك ؟ »

كانت الحافلة قد تحركت مسافة معقولة مبتعدة عن
الفتاة .. لهذا لم أر ما يمنع من ممارسة هوايتى فى
الصراخ والجعجعة .. ورحت أهدد الرجل بالنويل إن لم
يحسن لهجته معى ..

وراح راكبو الحافلة القلائل الذين لم يروا فيما حدث
ما يستحق كل هذا الصراخ ؛ يهدنون النفوس .. كان
الرجل قوياً حقاً وشديد المراس .. ولولا حملسى لما
جرؤت على التباجر معه ..

ومرت محطتان ونحن غارقان فى المجادلة وتبادل
الانتهاكات .. ثم إنه توقف عن الصراخ وتعنى لنا
خراب بيوتنا جميعاً ، وقال لنا جعتاد ينسى أن ينزل
فى محطته ..

وعند المحطة التالية نزل وهو ينعتنا بنعوت كريهة ..
وتحركنا مبتعدين لتغيب فى الظلام ..
وكانت هذه هى الليلة الأولى !
شريف :

أولى ؟ إذن هناك ليلة ثانية وثالثة ؟
فؤاد :

وعائسرة إذا أردت .. ففى الليلة الثانية تكررت
القصة بحذافيرها .. سعدت الفتاة ولم يبد عليها بتاتا
أنها تعرفنى .. وحينما مدت يدها الخالية من الخواتم
لتأخذ تذكرتها ، قلت لها فى فخر :

- « صاحبك لم يستطع الخلاص منى البارحة .. »
نظرت إلى فى حيرة غير فاهمة .. وتساءلت :
- « أفندم ؟ »

ثم تناولت تذكرتها واتجهت لمقعدى جوار النافذة ،
لتخرج الشطيرة من حقيبتها وتبدأ فى تأمل الشارع ..

بعد قليل صعد ذو الجلباب الأرقى .. وجلس جلسته
السابقة .. ظننت أنه سيتأجر ، لكنه تصرف بوقار
غريب .. وقدرت أنه ينوي بدء صفحة جديدة معي ..
لكنني لم أفهم .. هل هو مستمر في مطاردة الفتاة ؟
إذن لماذا لم تطلب مني العون ؟

ثم قلت لنفسى : إن النساء جميعًا مخبولات ..
كنهن ناقصات عقل ودين .. ولا يمكن فهم ما يفكرن
فيه ولا لماذا يفعلن ما يفعلن .. هن أنفسهن لا يعلمن
سبب ما يقمن به ..
رفعت :

إن أراءك لن تروق لقيادات الحركة النسائية ..
لكنني أرى فيها شيئاً من الصواب .. أكمل قصتك ..
فؤاد :

المهم أن كل شيء تكرر ..
رفعت :

كل شيء ؟
فؤاد :

كل شيء والله على ما أقول شهيد .. صحيح أنها
لم تطلب عونى .. لكنها ظلت تنظر إلى الرجل في

ذعر وكفت عن قضم الشطيرة .. ثم .. حين تحركت
الحافلة أو أذرت بالتحرك في إحدى المحطات ؛
هرعت هي إلى الباب وصاحت في السائق : أنا نازلة !
وقبل أن تتوقف الحافلة تماماً كانت قد هبطت منها
وذابت في الظلام ..

أما الرجل فهرع إلى باب الحافلة الذي كان قد
انغلق فعلاً .. وراح يهيب بالسائق أن يفتح الباب ..
لكن السائق كان قد ابتعد بما يكفى .. وفي المحطة
التالية هبط الرجل وهو يسبنا بنعوت عذبة .. هي
الشيء الوحيد الذي تغير في الموقف كله ..

(صوت قرقرة) .. كوح كوح تقوا !
رفعت :

طبعاً ظننت تضرب كفاً بكف ..
فؤاد :

قلت لنفسى إن الوغد قد أجاد توقع تحركاتها ..
لكنها هزت منه مرة أخرى ..
شريف :

والمرة الثالثة ؟

تكرر كل شيء .. وكاد الجنون يصيبني .. هل هما يتلاعبان بي ؟ هل هما يمثلان دوراً ما في (السيمبا) ؟ أنا أعرف هؤلاء الناس ممثلي (السيمبا) .. إنهم يفعلون أي شيء في أي مكان ويغضبون إذا ما أبدت دهشتك .. لكنني لم أجد (كمره) في الجوار ..

على كل حال لم أستطع أن أفعل أو أقول شيئاً .. فكلاهما لم يقارفا خطأ ما .. ما لي أنا وكل هذا ؟ لكن - والله على ما أقول شهيد - كان الرجل أكثر يقظة .. لقد جلس جوار الباب متحفزاً وعيناه على الفتاة .. وأدركت أنه سيمسبها بسهولة لو أنها قررت الفرار .. كان الحل بسيطاً .. لهذا صحت ونحن ننتو من المحطة إياها :

- « افتح ورايا (بيومي) ! »

وانفتح الباب الخلفي فأشرت لها كسي تهبط منه .. ولم تكذب خبيراً .. أما هو فلم يتوقع هذه الخيانة .. نهض محاولاً اللحاق بها .. لكن ..

- « انقل ورايا (بيومي) ! »

وقد كان .. ودخل الرجل في شجار مرير معي ..

إن الوغد سليط اللسان ويتمتع بقاموس شتائم غير مسبوق ..

كان قد فاض بي .. لهذا أعلنت له أنني أشك في أنه يتحرش بهذه الأنثى البائسة مهیضة الجناح .. وأنني أعرف أنه يعرف أن هذا المشهد يتكرر منذ ثلاثة أيام ..

ثم إنني قلت له إنني لن أسمح له بركوب هذه الحافلة ثانية .. فصاح في غن :

- « بأي حق ؟ هل أنت مدير الهيئة ؟ وزير المواصلات ؟ »

- « لا دخل للحقوق هنا .. أنا أستعمل شريعة الغاب .. »

وهذا هو ما حدث بالضبط

في الليلة التالية سعدت الفتاة كالعادة وراحت تلتهم شطيرتها .. حاولت أن أخبرها بما كان ، لكنها لم تبتد على علم بشيء ..

كل ليلة تشعرني بأنني أراها لأول مرة .. وتتصرف بتحفظ كأنتي وغد يضانيقها أو أتحدث مع الشخص الخطأ ..

ثم دنت المحطة التي ينتظر الرجل فيها .. وكان في نفس الوضع المألوف لي كل ليلة .. وبينى وبينك قلت للنفس : لو كان الوجدان يريدان أن أجن فأنا كفيل بإصابة بلد كامل بالجنون ..

ثم صحت في السائق أن يستمر دون توقف ..

ولمحت الرجل يركض وراء الحافلة محتجاً .. ثم ذاب في الظلام .. وقلت للنفس : إن الفتاة لو كانت تعابثني لبدت عليها الدهشة .. لكنها ظلت حيث هي تنظر خارج النافذة في سرود .. وتلوك ما يفهمها من طعام حتى تستغرق كل لقمة دهوراً .. كأنها .. كح كح !

كح كح ! يا (عبده) ! يا (عبده) !

(صوت غير واضح) ..

هات حجراً آخر ..

رفعت :

يبدو أننا سنزود من استهلاكك من (المعسل) هذه الثيلة ..

فؤاد :

لا عليك .. إن (عبده) القهوجي يقدم ألين أنواع النخان لنا .. يقال إنه يجفف الصراصير ويطحنها

وبقدمها لنا ، لكنى أرى في هذا مديحاً لا يستحقه .. أين كنا ؟ آه .. عندما تركت الرجل واقفاً على المحطة ..

جاءت الثيلة التالية وتكرر كل شيء ..

لكن الرجل لم يظهر في محطته ولا أي محطة

أخرى ..

وتجاوزنا المحطة المعادة التي نازل فيها الفتاة

هاربة .. وبعدها بثلاث محطات جاءت محطة مظلمة

في منطقة مقطوعة من الخط .. وهنا رأيتها تنهياً

للتزول ..

ما الذي يدعو فتاة تعيش في (السيدة زينب) إلى

التزول في هذه المحطة - لن أنكر اسمها - وحيدة

وفي هذا الوقت المتأخر ؟

لا أرى .. لكنى لم أتساءل كثيراً .. هي حرة تماماً

في اختيار محطاتها .. لكنى حين نظرت من النافذة

رأيت رجلاً عريضاً يرتدي جنبياً أزرق ويقف في ثقة

بانتظار من ينزل !

هنا صحت في السائق أن يستمر دون توقف .. وبرغم

احتجاجات الركاب القلائل الذين لم يفهموا سر تحكمتي

هذا .. كيف لا أسمح لها بالتزول ولا للرجل بالصعود ؟

لكن الفتاة كانت قد رأت ما رآته .. وعسى وجهها
الجميل تلاعبت بسمة خافتة .. بسمة عرفان بالجميل ..
لكنى لم أتوقع أكثر .. غدا تصعد إلى الحافلة
وكانها لم ترنى قط .. لقد أنقذتها مرارا ، لكنها لم
كل مرة تبدو كأنها نسيت كل شيء ..
رفعت :

وما الذى يدعوها إلى ركوب ذات الحافلة كل ليلة ؟
لماذا لا تطلب من قريب لها أن يحميها ؟
فؤاد :

عسى علمك .. أنا أحكى ما حدث دون نقص ولا زيادة ..
شريف :

والليلة التالية ؟
فؤاد :

لعدة ليال تكرر هذا الموقف بحذافيره .. وتعذر
الفتاة عن النزول ويعجز الرجل عن الصعود ..
وبعدها - عند نهاية الخط - تهبط هى بعد أن تقول لى
(ميرسى) .. وتغيب فى الظلام ..
ثم إن الرجل قام بخطوة جديدة ..

فى إحدى الليالى لم أجد الرجل على المحطة ..
وتهيأت الفتاة للنزول .. وتحركت الحافلة مبتعدة عدة

خطوات بينما أنا أرمق الفتاة من زجاج النافذة الخلفى ..
هنا رأيت سيارة أجرة تتوقف ورأيت جنابا أرق
ضحكاً يخرج منها لينقد السائق ماله !
لقد لعبها ببراعة ! هذه المرة ركب سيارة أجرة
ومشى وراء الحافلة بانتظار هبوط الفتاة .. فما إن
هبطت حتى ترجل هو .. وها هو ذا قد صار وحيدا
معها فى هذه المحطة المنعزلة ..
(صوت قرقرة) ..

هنا - والله عسى ما أقول شهيد - غنى الدم فى
عروقى .. أنا قد تربيت فى الحرارة ولا أملك ذرة من
التهديب .. فقط يتظاهر الإنسان بشيء من الخلق عسى
لا يطرد من وظيفته .. ولا يعجبنى الحال المائل بحال ..
لهذا صحت فى السائق أن يتوقف ..

وجذبت المفتاح الإنجليزي الثقيل الذى نضعه تحت
(الماتفستو) ووثبت من الحافلة .. وعيناي تتقدان
شررا ..

الليلة سابيت أنا فى التخشبية وبييت الرجل فوق
منضدة التشريح ..

لمست قدمي الأرض - وسط صيحات الاستفسار
من السائق والركاب - ورحت أسبق الريح ، راضيا

إلى حيث كان الرجل يمشى في همة وراء الفتاة التي لم
تدر بوجوده .. وأنا أتأمل المفتاح الثقيل في قبضتي ..
نويت أن أفتح رأسه أولاً ، ثم أفهم وجهة نظره ..
وهنا حدث شيء غريب حين رفعت عيني ..
رفعت :

لم تجدهما ..
فؤاد :

كيف عرفت ؟
رفعت :

القصة هكذا دائماً ..
فؤاد :

هذا هو ما وجدت - والله على ما أقول شهيد -
حين وصلت لمكانهما .. لا شيء على الإطلاق ..
الشارع المقفر المظلم في ضوء واهن لعمود نور
واحد نسيت البلدية أن تهشم مصباحه .. لا شيء ..
لا فتاة .. لا رجل .. وكانت هذه هي المرة الأولى
التي لعب فيها الفأر في عيني ..
عدت للحافلة وأنا أبسمل وأحوقل .. وصعدت أمام
العيون المرتابة في حالتي العقلية ..
رحمت أرذد في حيرة : ألم تروهما ؟ ألم تروهما ؟

وخلصت بعد قليل إلى أن الجميع رأى الفتاة .. ثم
أكن أخرف .. لكن أحداً لم ير الرجل ربما لأن أحداً لم
ينظر خارج النوافذ ..
لكنهما تلاشيا .. ذابا ..

وكانت هذه هي نهاية عهدي بالعمل ليلاً ..
لقد توصلت إلى رئيس الحركة والملاحظ كي يتم
نقلي إلى خط آخر .. وفي ضوء النهار .. وكذبت
مئات الأكاذيب لأبرز ..

أنت تفهمني يا د. (رفعت) .. أنا لا أهاب أي
شيء له لحم ودم وقلب ينبض .. لكنني أموت في
جندى من كل ما لا أفهمه ..

ومضت الحياة على نحو هادئ (صوت قرقررة) ..
فيما عدا المتاعب التقليدية لدى كل محصل يعمل في
فترات الذروة .. وعلى خط كثيف أصلاً ملسء
بالمتشاجرين والامتراحمين والهاربين من دفع ثمن
التذكرة والمدعين .. لكن هذا هو عملي .. وذلك
رزقي .. المهم أنني أفهم ما يدور حولي ..

ولكنني سمعت في مكتب تمفتش ما أدل رأسي .. فزميلي
هو الآخر يشكو من أشياء مريبة تحدث في أثناء عمله ليلاً .
أشياء تتعلق برجل ذي جلباب أزرق وفتاة شابهة

ترتدى السواد .. وهنا تدخل المسائق العجوز عم
(سعد) وهو بالنسبة للهيئة كتمثال (رمسيس
الثاني) لميدان المحطة .. أقدم شيء وعلامة مميزة
لا يمكن تصور الهيئة بدونها ..

إن عم (سعد) على المعاش لكنه يعمل في شيء
ما لا أدرى ما هو .. دائما هو هناك منكم في كتابة
أوراق أو الترخين أو .. هو أول من يحضر صباحا وآخر
من ينصرف .. يبدو أنه لا يتقبل حقيقة أنه صار بلا
عمل .. والكل يتقبل وجوده على كل حال .. فلا أحد
يجرؤ على طرده أو سؤاله عن سبب وجوده معنا ..

قال لنا عم (سعد) وهو يبصق - ومعنى هذا أن
كلامه مهم - إن كثيرين ممن عملوا على هذا الخطئلا
طيلة السنوات العشر الماضية ، صادفوا ذات الموقف ..
قال لنا إن هناك فتاة قتلت في إحدى المحطات منذ
أعوام .. يبدو أن زوجها أرسل من يقتلها لسبب
لا أدرىه .. منذ متى كف الأرواح عن قتل زوجاتهم ؟
إنهم يفعلون هذا طيلة الوقت .. المهم أن القاتل جرأها
وراء جدار وخنقها بحبل ليفي ، وسمع الضجة أحد
الحراس الليبيين فهرع ليرى ، رأى المنظر ورأى



القاتل ذا الجلباب الأزرق يحاول الفرار .. كان رد فعله
سريعا وأطلق رصاصة من مسدسه الحكومي ..
وسرعان ما تكوّم القاتل على بعد أمتار من ضحيته ..
فيما بعد اتّهار الزوج واعترف بأنه استأجر الرجل
ليفعلها ..

(صوت قرقرة) ..

رفعت :

ومن يومها ومشهد المطاردة يتكرر في حافلات
الهيئة .. كل ليلة في ذات الوقت تقريبا ..

فؤاد :

عليك نور .. واضح أن هذا هو ما حدث بالضبط
يومها .. يقولون إن روح القتيل والقاتل لا تهمدان
أبدا .. أعوذ بالله .. لقد اقتصر جلدي ..

رفعت :

بعض الأشباح تعارس ألعابا من هذا النوع ..
يسمونها (البولترجايشت) Poltergeist .. وهو لفظ
ألماني معناه الحرفي (الأشباح التي تَدُق) .. ويبدو
أن هذين الاثنين يتسلطان بتكرار ما حدث يومها ..

فؤاد :

لا أفهم ما ترطن به .. لها أمقت أسلوب الأفندية هذا
حين يسمون كل شيء واضح باسم يستحيل فهمه ..

رفعت :

لا عليك .. أنت محق .. فالرطانة هي داء المتقنين ..
يسمون حلاوة اللسان (ديماجوجية) والفقراء

(بروليتاريا) ، ويسمون النفى (براجماتى) .. دعنا
من الرطانة وقل لي ما استتجته ..

فؤاد :

لم أستتج شيئا .. فقط قررت أنا وأتان من رفائى
- عيال جدعان حقا - أن نركب الحافلة معا هذه الليلة
لنرى ما يحدث بالضبط .. وقد كان ..

جلسنا مع المحصل - وهو ولد من (العتبة) له قلب
أسد - ورحنا نثرثر ونتكلم .. وهنا دنت المحطة إياها ..
وفي صمت رأينا الفتاة تصعد إلى الحافلة وتذفع
ثم تذكرتها ، ثم تجلس في مقعدها المختار جوار
النافذة .. وتخرج شطيرتها إياها ..

بعد دقائق صعد الجدار ذو الجلباب الأزرق وجلس
على مقربة منا .. وكالعادة لم يبد عليه أنه لاحظ
وجود الفتاة ..

وهنا هز المحصل يدي .. كان يشير إلى جيب
جنباب الرجل حيث جنس .. لماذا يحمل الإنسان حبالا
غليظا من الليف في جيبه هو من الضخامة بحيث
يتلى طرفه خارج الجيب ؟

شريف :

هل شعرتم بخوف ؟

فؤاد :

بالعكس .. لا شيء على الإطلاق يثير الخوف في
مظهرهما .. مجرد شخصين عاديين تماما .. حتى
إنني شككت في الموضوع كله ..

إن هي إلا دقائق حتى توقفنا أمام المحطة التي اعتادت
الفتاة النزول فيها .. فما إن نزلت حتى تبعها الرجل ..
بالطبع لم يتدخل أحدنا هذه المرة حتى نرى ما سيحدث ..
وعلى الفور اتسللنا - نحن الثلاثة - وراء الرجل
والفتاة ، ورحنا نقفوا أثرهما على مسافة معقولة ..

تواريا ووراء جدار عند نهاية الممشى (صوت قرقرة)
فأسرعنا نهول لتري ما يحدث فلا يفوتنا شيء ..
وأمام عيوننا المذعورة رأينا الرجل يحيط عنقها
بالحبل ، ولمحناها تحاول المقاومة .. عندها نسينا
من نواجه بالضبط وتدفعنا صارخين محاولين منعه ..
وهنا وجدنا الشيء ذاته ..

لا شيء سوى شارع خاو يتألق بصعوبة تحت
انعكاس مصابيح وأهنة لا جدوى منها ..

لقد تلاشت الرويا .. ذابت كأن لم تكن ..

وعندها - فقط - تملكنا الذعر .. وعدنا نتخبط إلى
بيوتنا ..

رفعت :

حسن .. تلك هي الحقيقة إذن .. وهل من جديد في
القصة ؟

فؤاد :

لا شيء .. كنت أريد رأيك ..

رفعت :

هل تتكرر هذه القصة حتى اليوم ؟

فؤاد :

ليس دائما .. وعلى كل حال لقد تعلم راكبو وسائقو
هذا الخط أن يتجاهلوا أي فتاة ترتدى السواء يطاردها
رجل ذو جلباب أزرق .. فمن الواضح أنهم لا يؤذون
أحدا .. تلك (الأضباح التي تدق) على حد كلامك ..

كح كح !

شريف :

تكنهم يثيرون الرعب .. وهذا كاف جدا لجعلهم
مؤذنين .. إنهم يخالفون نوااميس الحياة التي نعرفها ..
وهذا يكفي لجعلنا أقشعر ..

فؤاد :

ما يثير الغيظ هو أن أحدا لا يصدقك .. كلما حكيت
القصة لواحد راح ينظر لك كأنك أبه ..



الحلقة السابعة

بس بس .. ناو .. !

تحكيها : مها شوقي

رفعت :

ليس من رأى كمن سمع .. وأنا نفسى لن أصدق
ما تقول حتى أراه ..

فؤاد :

والآن إلى اللقاء .. لقد صدعت رأسك بقصتي هذه ..
(يضع السماعة) ..

رفعت :

لا عليك .. يبدو أنها نهاية الحلقة يا (شريف) ..
(رنين الهاتف) ..

شريف :

لحظة ألو أ برنامج (بعد منتصف الليل) ..
صوت امرأة :

أنا (فاتن) .. ربة بيت .. أعود بالحافلة إلى
دورى مساءً بعد زيارة أمى .. هناك فتاة تركب معى
يريبنى أمرها .. فتاة ترتدى السواد وتلتهم الشطائر ..
ثم يصعد إلى الحافلة رجل يرتدى جلباباً أزرق ..
و.....

المقدمة

شريف :

صباح الخير .. ها هو ذا برنامجكم الممتع (بعد منتصف الليل) .. هل أنتم جالسون جوار أجهزة الهاتف ؟ حسن .. أديروا القرص .. واطلبوا رقمنا .. إن صاحب الحظ السعيد الذي سيمسق الأخيرين هو وفود آلة الرعب لهذه الليلة ..

رفعت :

صاحب الحظ السعيد الذي سيجد حرارة في جهاز الهاتف ..

شريف :

تري عم سيحدثنا ؟ عن جنى يتربص به ؟ عن قبر مفتوح ؟ عن شبح يجول في منزله ؟

رفعت :

عن امتحانات الثانوية العامة التي صارت على الأبواب ؟

شريف :

كلها أشياء مخيفة .. لهذا هي جذابة شائقة ..

الحلقة السابعة

بس بس .. ناو .. !

تحكيها : مها شوقي

« أى ذعر شعر به اللص البائس وهو يرى قطعة آدمية .. تنقض عليه من بين أشجار الحديقة لتمزقه .. وتجرحه نحو البوابة وهي تروم وتزجر ؟ »

(رنين الهاتف) ..

ألو ؟ من يتحدث ؟

صوت فتاة رقيق :

أنا (مها شوقي) .. أظن أن هذا برنامج (بعد

منتصف الليل) ..

شريف :

لو كان جهاز المذياع مفتوحاً يا (مها) فأنت

تسمعين صوتك خارجاً منه .. وإلها لتجربة غريبة

حقاً .. تتحدثين في الهاتف فينبعث صوتك من المذياع !

مها :

أنا أحب برنامجكم وأحب (رفعت إسماعيل) غريب

الأطوار الملول الساخر من كل شيء .. إنه يذكرني

بالشاعر (ابن لنكك) الذي سخر من كل شيء حتى

نفسه .. وبرغم كل شيء أراد جميلاً ..

رفعت :

هذا يسرني يا.. أنسة ؟

مها :

نعم ..

رفعت :

هذا يسرني يا أنسة (مها) .. إنك تقولين ذات

الأشياء التي أقولها عن نفسي ، والتي لا يراها أحد

في شخصي .. أنتعم أن يكون وجهك في جمال بيتك ..

إن المرأة الوحيدة التي أبدت إعجابها بي كانت المرحومة

أمي .. وكانت تعاني ضموراً في شبكية العين ..

مها :

إن موضوع الجمال هو سبب كل ما حدث ..

دعني أقدم نفسي أولاً .. أنا (مها شوقي) ..

طالبة في كلية الآداب .. لست من النوع الذي يمكنك

وصفه بالقبح مهما تجنيت .. لكني - كذلك - لست

(صوفيا لورين) .. أحياناً أكون عملية إيجابية جداً ..

وأحياناً أشعر بأنني هشة تعسة وأنتي J'ai Besoin

.. de Tenderess

رفعت :

.. ماذا قلت ؟ إن لغتي الفرنسية

شريف :

تقول إنها بحاجة إلى الحنان .. أرجوك استخدام

العربية يا مها ..

مها :

ليكن .. باردون .. إن حالتى الماتية لا بأس بها ..
فعندى سيارة خاصة بى .. ولدى أبواب بعدد أيام
السنة .. وأبى يملك كل شيء ويعرف كيف يحقق
الأشياء الباقية .. لكنى تعسة ياد (رفعت) ..
تعسة ..

كنت أشعر بالفراغ .. ولم يعد النادى قادراً على
إسعادى .. قرأت كثيراً جداً بالعربية والفرنسية ، لكنى
فقدت القدرة على الاستمتاع .. فهى مجرد كلمات
يخدعوننا بها متظاهرين بأنهم يفهمون الحياة ..
إنها المرارة .. إنه الألم .. إنه القنوط ..

رفعت :

أفهم ما تقولين .. أحياناً يخيل لى أن الاستمتاع
بالحياة يعتمد على غدة معينة فى جسدنا .. فلو
انتزعت أو فشلت لما صار شيء قادراً على إسعادنا ..
لا بد أن (هيمنجواى) أديب أمريكا العظيم شعر
بشيء كهذا وهو يضع ماسورة البندقية بين شفثيه ،
ويضغط الزناد بإصبع قدمه .. لقد فعلها فى ذروة
مجده وانتصاره ..

مها :

هناك من يسميه الفراغ .. ربما .. لكنى لن أتردى
إلى هاوية الابتذال لأقول لك : (المال لا يجلب
السعادة) .. كلا .. هو يجلبها ولكن لتفوس مستعدة
لأن ترضى به ..

شريف :

هلا تحدثنا عن قصتك غير العادية ونسبنا هذه
الدهاليز النفسية ؟

مها :

نعم .. نعم .. كنت أحاول أن أوضح أن من يمر
بحالى يكون على استعدادى يخوض أغرب التجارب ..
لمجرد التجديد ..

بدأ الأمر حين حدثتني صديقتى عن مدام (ليليان) ..
بعضهن قلن للأخريات ، وبدأ عدد من يعرفن الأمر
يتزايد .. ثم دعتنى إحداهن لزيارتها ..

إن مدام (ليليان) تسكن فى فيلا من طابق واحد
فى أحد الأحياء الراقية بالقاهرة .. ليكن (الزمالك)
أو (المعادى) أو (جاردن سيتى) .. لا يهم .. امرأة
من أصل أرمنى هى تعيش وحدها بعد وفاة زوجها ..

كنا هناك في الثامنة مساءً .. وكان هناك كلبان
شراسان مربوطان بالسلاسل ، وخادم نوبى عجوز ..
قائدا إلى الباب ..

وفي داخل القبلا كانت هناك قاعة فسيحة ملأى
بالبطنافس المبعثرة على الأرض .. ورائحة بخور
تعبق الجو .. مع إضاءة حمراء كتلك التى لا نتخيل
مساكن الجن إلا بها ..

أما الغريب في الموضوع فهو عشرات - هل أقول
مئات ؟ الققط تلهو أو تغفو هنا وهناك .. كل قطة
تتصور شكلها أو رأيتها في دائرة معارف يمكن أن
تراها هناك .. وكلها مكنتزة تشى بالصحة وحسن
التغذية ..

أما مدام (ليليان) نفسها فامرأة فائقة .. صحيح
أنها في الأربعين من عمرها لكنها في أفضل حالاتها ،
كتفاحة في فروة النضج قبل أن تذبل وتتجدد ، كانت
فارعة القامة ذات عيون زرقاوين شديتى الجمال ،
وثمة خصلة من الشعر الأبيض في مقدمة رأسها
وسط الخصلات السوداء ، لا أرى هل هي صناعية
أم لا ..

وكانت ترتدى روبا أحمر أنيقا ..

وعلى كتفها الأيمن كانت تنعس هرة إيرانية
(منطلقة) بشدة .. كتلة من الدهن المغطى بفراء
أبيض نظيف ..

كانت هناك أشياء غريبة كثيرة خطفت بصرى ..
صور عملاقة تعلق على الجدران .. ققط محنطة
وقفت متخذة أوضاع القنص .. تماثيل فرعونية
لثربتين (سخمت) و (باستت) بما في منظرهما من
صلة بالققط ..

صديقاتى حدثننى عن هذا كله لكنى لم أتصوره
قط ..

كانت هناك ست فتيات يعرفن المكان جيدا ، وقد
اتخذت كل منهن مجلسها على إحدى الطنافس ،
وأمسكت هرة غافية تداعب فراءها في حنان ..

أما مدام (ليليان) فقد قالت لى فى لطف :

- « أوه .. أنشأتنيه .. هل أنت (مها) ؟ »

كان فى لكتتها طابع أجنبى محبب للنفس ..

- « نعم هى .. »

قالت وهى تقودنى إلى إحدى الطنافس :

- « قطة جميلة هي أنت يا (مها) .. تعالى لتجلسي مع أخواتك الهرر »

مجانلة رقيقة .. وخطر لي هنا أن المرأة - هي نفسها - أقرب إلى قطة آدمية .. كل شيء فيها (قططي) بشكل أو بآخر ..
رفعت :

إن التشابه بين المرأة والقطة قديم حقاً .. وهناك من أضاف إلى هذا فوجد تشابهاً كبيراً بين الرجل والكلب !

شريف :

هذا يضايقك حتماً .. فأنت رجل لا كلب ..

رفعت :

بالعكس .. كانوا يتحدثون عن إخلاص الرجل وثباته وشجاعته وصبره .. أما المرأة فيتحدثون عن نعومتها وتقلبها وشراستها أحياناً .. وميلها للتكسل .. وحرصها على مظهرها ..

مها :

يصعب عليّ دوماً أن أتخيل وجود قط ذكر أو كلبة أنثى .. ما علينا .. المهم أن مدام (ليليان) جعلتني

أجلس .. ثم دارت أمامنا وجلست .. وراحت تقول وهي تداعب قطتها :

- « إن كل فتاة هي قطة في أعماقها .. وما نحن بصدده وما نقوم به يتركز في أن نشعر بـ (قططيتنا) .. إن القطة هو أسعد كائنات الله .. فهو جميل مستقل بشخصيته .. يعرف كيف يستمتع بالحياة .. إنه ليس مهذباً بالذبح كالأرنيب ولا مكلفاً بالسهر في الشارع البارد يعوي كالكلب .. ولا هو كرية وحيد كالأفعى .. ولا هو مهذب بظنقة تنهى حياته كالعصفور ..

إن القطة كائن رائع .. قوامه الاسترخاء وعماده الثقة بالنفس .. ودعسه الوحيد في الحياة هو حبنا له ..

تقول الأغنية الفرنسية : أحبوا الحياة كما يحبها القطة الصغير ..

ويقول (شكسبير) في (كما تحبها) : أنظر إلى الهريرة وقد أفعمها المرح .. إذ تترنض في الشمس المتألقة ..

(بالتطبع قالت هذه الاقتباسات بأصولها الإنجليزية والفرنسية) ..

رفعت :

هل أنت واثقة أن هذه المرأة ما كانت تبشر بنوع
من عبادة القطط ؟

مها :

شككت في هذا .. قلت لنفسى : هي ذى يا (مها)
جمعية سرية أخرى تعارض عقيدة حمقاء .. ولن يمر
شهر حتى يحتل خبر القبض على أفرادها - بواسطة
أمن الدولة - مكانا بارزا في صفحة الحوادث ..
لكن كلام المرأة راق لى ..

كانت تدعونا إلى أن نقلد القط ولا ندعونا لعبادته
والعباد بالله ..

بل إنها قالت صراحة إن الفراعنة في بحثهم
المتخبط عن سر الخلق ، عبدوا القط في صورة الربة
(باستت) التي ما زال معبدها في ترقازيق الحالية ..
لكن هذا هراء ..

ثم سألتنا : لماذا يقول الناس إن القط له سبعة
أرواح ؟ لماذا يقر القط حين ينام ؟ لماذا يتشامخ
الناس من القط الأسود ؟ لماذا تتبدل عين القط كدورة
القمر ؟

كلها أسئلة بلا جواب ..

كلها تقول إن القط كائن غير عادى .. والناس
يحبونه بقدر ما يخشونه .. فهو يجمع شراسة النمر
ووداعة اليمامة ورشاقة الغزال ..

ثم بدأ الحفل .. وباله من حفل ! حفل جدير بانقط
(نوم) حقا ..

كانت هناك أطباق اللحم .. كثير من اللحم ..

رفعت :

هذا غريب ! كل هؤلاء المتأملين نباتيون في العادة ..
وهل أنت واثقة من أنه لم يكن لحم فنران !؟

مها (متقرزة) :

يع ع ع ع ! لا تمزح في هذا ياد .. (رفعت) !
كان لحمًا بقرًا .. ومعه كثير من السمك .. ودارت
كلوس اللبن البارد .. أنا لا أحب اللبن ، لكن هذه
المرأة استطاعت أن تجعلنى أحبه ..

كانت تقول طيلة الوقت :

- « هيا يا بنات .. إن القط يعتمد على هذه المواد
ليغدو ذلك الكائن الرابع .. لم لا نحاول أن نستخلص
منها أروع ما فيها ؟ لم لا نمنح أنفسنا الفرصة ؟ »

تقول هذا وتصدر صوتاً ناعماً هادئاً من حلقها ..
ثم تتكور حول نفسها على الأرض .. ولا أبالغ إذا
قلت إنها تموء في رضا ..

الأخريات أيضاً لم يكن على ما يرام .. كن بدورهن
يصدرن أصواتاً غير طبيعية ، ويتكورن حول أنفسهن ..
وبعد قليل وجدت أنني أخذت حذوهن ..
رفعت :

لا يبدو جواً صحياً مريحاً للتنفس ..
مها :

بتاتاً .. لكنني قددمت فيه .. مثلما تندمج في
حفلات الزار ونجدها فرصة طيبة لإخراج النزعات
الدافئة ..

نفس الشيء حدث يوماً .. وبعضنا غرق في بكاء
هستيري .. وبعضنا راح يرتجف كالورقة .. هل
تعرف مكاناً آخر في العالم يمكنك فيه أن تصرخ
وتضرب الأرض بقدميك .. أو تنفجر ضحكاً ؟

رفعت :

لا أعرف سوى المصحة النفسية .. الحق أن هذه
المرأة القط قد كانت طبيياً نفسياً بارعاً ..

مها :

كل شيء كان غريباً جميلاً جديداً .. وحين افترقنا
- في نهاية الأمسية - عرفت أنني سأعود ..

قالت لي على الباب وهي تتلمخ خدي :
- « أوصيك بنظافة الجسد .. فهكذا تفعل الهرة
الطيبة ، أوصيك باستعمال هذا الدهان ليجعل لك عبق
الهررة ، أوصيك بشرب الحليب ثلاث مرات يومياً ،

يمكنك إحضار من تشائين من صديقاتك لكن لا رجال .. »
وتركتها وعقلي يدور .. هي ذي تجربة مثيرة حقاً
يمكن أن تعزيني عن كل هذا الفراغ الذي أعيش فيه ..
وفي اليوم التالي ابتعت قطعة بارعة الجمال من أحد
محال الحيوانات الأليفة في (الزمالك) .. لقد آليت
أن أمتع وقتاً أكثر لمعرفة هذا الكائن الساحر ..

سألت أترابي عن هذه المرأة وماذا تريد ..
فكن لي إن هذه المرأة - بعد موت زوجها - عاشت
مع قططها ، لا تحلم بشيء سوى أن يتحدث العالم
ويفكر ويحلم بالقطط ..

ربما هي مخبولة .. هذا واضح تماماً .. لكن
المخابيل قد يتمتعون بقوة نفسية غير معقولة تؤثر
فيمن حولهم .. وتريحهم ..

شريف :

وهل استعملت الدهان اياه ؟

مها :

طبعاً .. بحذر شديد في البداية .. ثم وجدت أنه يجعل بشرتي أعم .. مع مسحة من صفاء نفسي عطر .. واعتدت استعماله ..

وحين ذهبت هناك للمرة التالية ؛ طلبت منا في أتب أن ندفع مبلغاً رمزياً تحتاج إليه لإطعام قططها ..

شريف :

أها ! إذن عملية النصب تتضح ..

مها :

لا أظن .. إن عشرة جنيهات تدفعها فتاة ثرية مثلى أربع مرات شهرياً ليست بالأمر المؤذى .. ثم إنها لم ترغماً على شيء ..

كانت تضع صندوقاً أمامنا وتتركنا وشأننا .. فمن ثباتت الدفع فيها وإلا فلا لوم عليها ..

رفعت :

وهل كان برنامجك ثابتاً في كل مرة ؟

مها :

لا .. أحياناً كنا نرى أفلاماً ملونة تعرضها بجهاز عرض صغير .. نرى فيها قطعاً تتوالد وتلهو وتصطاد الفئران .. أحياناً كنا نقامل صوراً نلقط .. وأحياناً كانت تدعونا للتأمل ككل مدربي (اليوجا) المحترفين .. ولقد تزايدت مشاعري الإيجابية وتزدت ثقة بنفسى .. وزدادت حواسى رهافة ..

رفعت :

ومتى شعرت أن الأمور ليست على ما يرام ؟

مها :

ومن قال إننى شعرت بشيء كهذا ؟

رفعت :

لا بد أن هناك سبباً لاتصالك عدا شعورك بالهناء الروحى ..

مها :

لا أدري متى بدأ هذا .. ربما بعد شهرين أو أكثر من تعرفى مدام (ليليان) .. المهم أننى لاحظت رهافة غير عادية فى حواسى .. صرت أسمع صوت خطوة النملة كما يقولون .. أسمع همسات الناس وضوضاءهم وصوت أنفاسهم الثقيلة ..

لكم ضايقتي هذا ! صرت أصحو من نومي بسهولة
غير عادية فأتمتع وأنهض .. لمجرد أن ورقة شجر
قد سقطت من فوق غصنها في الحديقة .. قلت للنفسى
إننى متوترة لا أكثر ..

بعد هذا مررت بتجربة أثارت قلبي ..

فى تلك الليلة نهضت من نومي قلقة .. وأردت أن
أرتب الأشياء التى على أن أقوم بها فى الكلية غدا ..
أمسكت بالورقة والقلم وكتبت ما ينبغي أن أقوم
به .. ثم عدت إلى الفراش ونمت ..

فى الصباح أيقظتني أمى من النوم وقالت إننى
أصدر صوتاً غريباً بحنجرتى وأنا نائمة ..

على مائدة الإفطار رحلت أعب الحليب .. وألتهم
الجبن والبيض بنهم لا أرى لماذا صرت أمقت
الحلوى الطحينية والبقول !؟

سألنى أبى وهو بطاع الجريدة :

- « ماذا فعلت عندما انقطع التيار الكهربى أمس ؟ »

- « ه .. هل انقطع التيار ؟ »

- « بالطبع يا (مها) .. من العاشرة مساءً حتى

الفجر .. لم تشعرى بهذا ؟ »

- « ي .. يبدو أننى نمت مبكراً فعلاً .. »

كنت حقاً قد دخلت فراشى فى تمام التاسعة .. لكن ..
كيف تم الحظ ؟ كيف نهضت فى الظلام الدامس وكتبت
ما كتبت !؟

هناك تفسير واحد .. هو أننى صرت أرى ليلاً !

رفعت :

وهل سرك هذا ؟

مها :

حتمًا لا .. إن قدرات الإنسان المحدودة هى التى
تجعله إنساناً .. ولو تبدل شيء منها فهذا مخيف أكثر
منه ساراً .. تصور أنك جرحت إصبعك فلم ينزف
دم .. هل يسرك هذا ؟

رفعت :

هذا حق .. حتى الألم هو تعبير عن إنسانيتنا
وصحتنا .. لو أنك لامست النار ولم تصرخ ولم تحس
بألم ، لكان هذا دليلاً على إصابتك بالجذام أو زهرى
الجهاز العصبى ..

مها :

لقد أصابنى الهلع .. وهرعت إلى مدام (ليليان)
أسألها ..

بدا السرور على وجهها وقالت :

- « هذا هو الطريق السديد يا ملاكى .. إنك تتعلمين من الققط بسرعة كبيرة .. لقد صرت مرهفة الحس خارقة القدرات .. لقد كان كل هذا موجوداً من البداية لكنك غطيتَه بغير إنسانيتك .. اليوم زال الغبار .. وعاد كل شيء براقاً جميلاً كما خلقه الله .. أنت جديرة بأن تحسدى .. »

رفعت :

طبعاً لا أظنك من السذاجة بحيث تجهلين أن الدهان يحوى شيئاً ..

مها :

للأسف لم يخطر هذا ببالي قط .. إن الأمر كله يبدو سخيفاً غير قابل للتصديق ..

ولقد سألت صديقتى عن أعراض مماثلة لكنهن سخرن منى جميعاً .. لكنى لا أكتفك يا د . (رفعت)
أنتى لاحظت لديهن رهافة حواس غير عادية .. ذات مرة صرخت إحداهن فى المحاضرة ، إنها تشم رائحة حريق .. وحدث هرج ومرج .. وغادر البعض المدرج .. فيما بعد عرفنا أن أحدهم أحرق ورقة فى الغناء ..
أى عنى بعد مائة متر من مكاننا تقريباً ..

وكان بوسع واحدة منا أن تعرف نوع الطعام الذى

بعده مطعم المدينة الجامعية ، وهى على بعد نصف كيلومتر منه ..

فى هذه المرة اتجهت إلى فيللا مدام (ليليان) فى حزم .. كنت أريد أن أعرف تفسيرها ..
كانت متحفظة باردة وهى تداعب ققطها المفضلة ..
ثم قالت فى كياسة إنها قدمت لنا هدية ثمينة يعجز عقلنا القاصر عن فهمها ..

- « لماذا تظنين بشرتى لم تشخ ولم تتجدد ؟ لماذا أنا مرحة أعرف كيف أستمتع بحياتى ؟ لأننى عرفت كيف أحيى كقطة .. أفكر كقطة وأمام كقطة وأكل كقطة .. »

ودون تكرات قالت لى إنها تنتمى إلى جيل عريق من كاهنات (باستت) قطة الفراعنة المقدسة .. لقد توارثت أسرتها هذا الفن جيلاً بعد جيل حتى بعد رحيل بعض الأجداد إلى (أرمينيا) .. ومفتاح هذا الفن يكمن فى الدهان المقدس الذى ينقل صفات الققط إلى الإنسان ..
كاهنات (باستت) عرفن كيف يصنعنه .. ولم يدون السر على ورق قط بل تناقلته لفظاً ..

ثم قالت لى بذات المرح إن الدهان سيظل يعمل على .. سواء أردت أم لم أرد .. توقفت عن استعماله أم واطببت ..

صحت فيها إننى سأبلغ الشرطة ..

ضحكت وقالت :

- « هذا شأنك يا قطنى .. ماذا سيجد البوليس
عندى ؟ وما هى فرصتك فى أن يصدقوك ؟ دعك من
عدم وجود شهود .. يجب أن تمنحى ذاتك لـ (باسنت) ..
هذا هو الخلاص الوحيد .. »

تركناها حائرة لا أدرى ما أصنع ولا ما أقول ..

شريف :

لم تبلغى أهلك بما حدث ؟

مها :

أبلغهم بماذا ؟ بأن هناك امرأة تهوى القبط ؟ وهى
كاهنة من كهنة (بوباسطى) ؟ ظننتك أكثر واقعية
يا أستاذ (شريف) ..

على كل حال لم يكن الأمر بهذا السوء ..

لقد تمكنت من سماع نصين بنويان اختطاف حبيبتي
فى أثناء خروجى من الكلية .. كاتا يتهايمان على بعد
سعين متراً ، لكننى سمعت كل شيء .. ووضعتها
إبطى فى الوقت المناسب ورجعت أراجى ..

ت من إيقاف أكثر من حريق قبل أن يتفارق ..

أر صار لا يطاق مع موضوع الفئران !

رفعت :

فئران ؟ هل تعنين ؟

مها :

نعم .. ذبول فئران فى درج مكتبى .. لا أدرى كيف
ولا متى .. مستحيل أن أرى قفراً فى يقظتى دون أن
يغشى على .. لكنى لا أدرى ما حدث وأنا نائمة !
د. (رفعت) .. أعتقد إننى أصطاد الفئران فى الحديقة
ليلاً بينما أهنى نيام !

رفعت :

يا للهول ! أنت لا تمزحين يا (مها) ..

مها :

حتمًا لا .. إننى أفعل فى غفلى أشياء غير
مفهومة .. ذات مرة شرد ذهنى وأنا أمشى فى
الحديقة وحين أفقت وجدت أننى قد اصطدت ثلاث
فراشات ويعسوباً .. بضربة واحدة .. وبانعكاس
حركى لا يصدر إلا عن قطة ..

(تتهد) .. بعد هذا جاء موضوع اللص ..

لا بد أنه تسئل إلى حديقتنا ليلاً .. لا بد أنه أحرق ..

لا بد أنه أحدث جلبة ما .. لا أدرى كيف مات .. لقد

وجده رجال الشرطة ميتاً على بعد خطوات من بوابة

الدار .. كان ممزقاً بفضاعة .. آثار أظفار وأنياب ..
وجهه يكتسى بقتاع الرعب .. وقال الطب الشرعي
إنه لم يمض بجراحه بل مات بالصدمة العصبية .. لقد
رأى ما يخيف ..

لقد بحثوا كثيراً عن كلب مسعور أو ذئب يجول في
المنطقة دون جدوى .. أبي يقول إنها العناية الإلهية ..
لا جدال في ذلك .. لكن هناك عنصراً آخر لا يفهمه أحد ..
نسيت أن أقول لك إن كلبنا لم يفعل ذلك .. لقد مات
كلبنا المسكين (ركنس) مسموماً بيد أئيمة قبل
الحادث بشهرين ..

إن كراهيتي للكلاب تتزايد يوماً بعد يوم .. لكنني
لا أصدق أن أفعالها ..

د. (رفعت) .. هل حقاً تظن أنني (مقطوعة) ؟
رفعت :

(مقطوعة) ! على وزن (مذعوبة) .. تعبير جيد
يا (مها) .. لو كانت قصتك صادقة فالأمور لا تأخذ
منحنى آخر ..

أي ذعر شعر به النص البائس وهو يرى قطعة
أدمية تنفض عليه من بين أشجار الحديقة لتمزقه ..
وتجره نحو البوابة وهي تزوم وتزمر ١؟

بالمناسبة يا (مها) .. أظن أن اسمك ليس (مها)
كما هي العادة في هذا البرنامج .. إن هذا يجلب
متاعب هائلة لك ..

مها :

بالتطبع .. تكن اسمي قريب جداً من هذا ..

رفعت :

ليكن يا (مهيتاب) .. ماذا حدث بعدها ؟

مها :

لا تتذاك على .. ودعني أكمل قصتي ..

كنت أقول إن حالة التحول القططي هذه تحدث دون
أن أشعر بها حين يحن الليل .. وأخشى ما أخشاه أن
أوذى أحداً دون أن أدرى .. هل تنصحني بعلاج نفسي ؟

رفعت :

أقترح أن أتناك أولاً يا من ليبت (مها)

ولا (مهيتاب) ..

شريف :

لا أظن أنها فعلت ما فعلته .. كيف لم تلوث الدماء

ثيابها ؟

رفعت :

هكذا القلط .. تلتق فراءها ومخالبها بعد الافتراس

لتعود أنظف مما كانت .. بالمناسبة .. أرى أنك لم
تتحولى بعد برغم أنها الثانية صباحاً ..
مها :

لا أدرى .. عسى هذا لا يحدث أبداً .. د. (رفعت) ..
إننى مذعورة .. مذعورة حقاً وأريد أن تساعدنى
Je Suis un autre يا د. (رفعت) ! (*)
رفعت :

الله يعلم كيف .. لكنى سأحاول .. ألقاك فى مكتبى
بالكلية غداً إن شاء الله .. هل تريدن شيئاً آخر ؟
مها :

لحظة .. (صوت قرعت على الباب) .. إن هذا ..
صوت امرأة :

(مهرة) .. هل تسمعين المذياع الآن ؟ ثمة فتاة
صوتها كصوتك تحكى مشكلة مضحكة .. (مهرة) ..
ما كل هذا الظلام ؟ ولكن الهاتف معك .. من تحدثين ؟
باللهول ! ماذا لها عينيك ؟ إنهما تتوهجان .. (مهرة) !
إن فأتت التى نسمعها الآن فى المذياع !!
(مهرة) ! لا والله !

(*) أنا لخرى .. وهو مقطع شهير للشاعر الفرنسى (رابو) ..



الحلقة الثامنة

من أنا ؟

يحكيها : رفعت إسماعيل

المقدمة

شريف :

حقيقة جديدة من برنامجكم (بعد منتصف الليل) ..
(شريف المسعدنى) معكم وضييفكم الدائم د. (رفعت
إسماعيل) .. أرجو أن تكونوا قد تأكدتم من أن
الأطفال قد ناموا وأن نافذة الحمام مغلقة ..

رفعت :

وأن الباب موصد بإحكام .. وأن تكونوا قد تفقدتم
خزنة الثياب وأنقيتم نظرة تحت الفراش .. فالأشياء
التي لا تريدون أن تأتى تكون هناك دائماً ..

شريف :

لا تثر ذعرهم يا د. (رفعت) ..

رفعت :

كل أطفال أوروبا وأمريكا يتحدثون عن (رجل
الخزانة) .. فكل طفل هناك يذكر شعوره حين نام
وحيداً فى حجرته للمرة الأولى ، وراح يرمى خزنة
الثياب فى جزع متوقفاً أن هناك من ينتظر فيها ..

شريف :

وصلتسى مكالمات هاتفية عديدة بخصوص حقة

الحلقة الثامنة

من أنا ؟

بحكيها : رفعت إسماعيل

« ما هو الدليل على كيتونتسى ؟ ما الذى
يجعلنى أنا ؟ »

الأسبوع الماضي .. يقولون إن تحول إنسان إلى ذئب
عندما يكتمل القمر أمر سخيف .. وإن هذا البرنامج
هو فريسة سهلة لمجموعة من مؤلفي القصص
والكاذبين وهواة التمثيل ..

رفعت :

لا أدري .. أنا لم ألق مذعورًا حقيقيًا حتى اليوم ..
شريف :

لكن الذئب ليس فنبنًا .. فنحن نفترض التصديق في
كل من يتصل بنا .. والمستمع هو من يمد آلة الرعب
بوقود القصص حتى تعمل ولا تتوقف أبدًا ..
رفعت :

للمرة المليون ! إن لك مزية مهمة يا (شريف)
هي الإصرار .. مع عجز تام عن الشعور بالحماسة ..
شريف :

أشكرك ..

رفعت :

إن الذين لا يخشون أن يبدو اسمجين لهم قوم جديرون
بالاحترام .. ولهم الأرض بما عليها ومن عليها ..
(رنين الهاتف) ..

هو ذا زبون الليلة ..

شريف :

ألو .. هنا برنامج (بعد منتصف الليل) .. من يتحدث ؟

صوت رزين :

هل الكهل (رفعت إسماعيل) معك ؟

شريف (مندهشًا) :

يبدو لي الصوت مألوفًا .. إن د. (رفعت) معي ..

لكننا نحافظ على الكلفة يا سيدي ونحرص على

الألقاب .. فهلا تجنبت التبعوت التي تدنو من الإهانة ؟

الصوت :

أليس كهلاً ؟ ولكنك قوى الملاحظة يا أستاذ

(شريف) .. إن نبرات الصوت واضحة تمامًا .. قل

شيلًا يا د. (رفعت) ..

رفعت :

ماذا أقول ؟ إن بلاغتك تكفي شعبًا من البكم ليشفى

للأبد ..

شريف :

ذات الصوت ! أنتما تملكان ذات الصوت بذات

المقاطع ! من أنت يا سيدي ؟

الصوت :

أنا د. (رفعت إسماعيل) !

شريف :

ونفس الاسم أيضا ؟ إنها لمصادفة !

الصوت « ستميه (رفعت إسماعيل) تمييزا له
عنى .. »

بل أنا هو .. أنا مجموع الصفات والعلامات والطباع
التي اصطلح على تسميتها (رفعت إسماعيل) ..
رفعت :

هذا مثير ! إن المرء لا يتلقى مكاملة من نفسه كل
يوم .. وماذا أكون أنا إذن يا د . (رفعت إسماعيل) ؟
رفعت إسماعيل :

لا أدري .. كل ما أعرفه هو أنني (رفعت إسماعيل) ..
شريف :

لحظة .. إن اسم (رفعت إسماعيل) شائع حقا ..
ومهنة الطبيب شائعة تماما .. إن الأمر لمصادفة
طريفة لا أكثر ولا أقل ..

رفعت إسماعيل :

حسن .. لنقل من أنا .. للعرف ما أعنيه بالضبط ..
أنا د . (رفعت إسماعيل) ابن قرية (كفر بدر)
بمحافظة الشرقية .. توفي أبى فى الصغر ورحلت مع
خالتي إلى المنصورة .. ثم درست الطب فى (القاهرة) ..

وسافرت فى بعثة دكتوراه إلى (أسكتلندا) .. وعدت
من هناك لأنشى وحدة أمراض الدم بالكلية ..

شريف :

هذا تاريخ سهل يعرفه كل من يعرف د . (رفعت
إسماعيل) ..

رفعت إسماعيل :

لى أخ يدعى (رضا) متزوج من امرأة متسلطة
تدعى (نجاة) ، وأخت تدعى (رليفة) زوجها يدعى
(طلعت) .. أعز أصدقائى فى الإسكندرية ويدعى

(عادل) .. وقد خطبت شقيقة زوجته (هويدا)

لفترة .. ولى جار يدعى (عزت) - مثال - وسرفشل

علاقتى مع الأنشى هو انعدام ثقى بقدرتى على أن

أحمل شريكا لحياتى .. دعك من حب متغلغل فى

نفسى لفتاة إنجليزية تدعى (ماجى) .. هل هذا كاف

أم أتحدث عن الكاهن الأخير (هن - تشو - كان) الذى ؟

رفعت (فى عصبية) :

كفى !

شريف :

هل هذا الكلام صحيح يا د . (رفعت) ؟

رفعت (متوتراً) :

للأسف صحيح .. وبعضه لا يدري به أحد سوى ..
إنه جزء من أعمق أعماق ذاتي .. إنني .. إنني ..
لا أدري حقاً .. هـ .. هذا الرجل يعرفني كنفسي !

رفعت إسماعيل :

لأنني أنت يا د. (رفعت) ! هذا كلام واضح ..
شريف :

ما هو الشيء الواضح هنا ؟ أنت مجردهاو لتقليد
الأصوات يا سيدي تحاول التسلية ..

رفعت إسماعيل :

حسن .. إن فصينة دمي (B) .. ولدي قرحة
مزمنة وربو شعبي وضيق في الشريان التاجي الأمامي
بسبب الإفراط في التدخين .. ولدي وحة حمراء في
جدار البطن .. و

رفعت (مستسلماً) :

الأمر واضح .. هذه الصورة الشمولية لا يعرفها
أحد من معارفي وأقاربي .. كل واحد منهم يعرف
جزءاً صغيراً منها .. إن أخي لا يعرف حكاية شرياتي
التاجي .. بينما (عزت) جاري لا يعرف اسم أخي
ولا اسم زوجته .. ولا أحد يعرف (ماجي) سوى

(عادل) .. لكن (عادل) لا يعرف شيئاً عن الكاهن
الأخير (*) ..

شريف :

ومعنى هذا ؟

رفعت :

معناه أن المتكلم هو (رفعت إسماعيل) حقاً ..

شريف :

ومن تكون أنت إذن ؟

رفعت :

سؤال غريب ! أنا (رفعت إسماعيل) طبعاً ..

شريف :

هل لك أخ توعم متماثل ؟

رفعت :

لا أخ لي سوى (رضا) .. وعلى كل حال لا أحد

يسمى التوائم بنفس الاسم ..

شريف :

إن .. ما معنى ما يحدث ؟

(*) في هذا الوقت لم يكن (رفعت) قد نشر أية قصة له من
لتي يعرفها قرأنا ..

رفعت :

لا أدري .. ربما كان د. (رفعت إسماعيل) هذا
كريمًا بما يكفي كي يفسر لنا معنى هذا كله ..

رفعت إسماعيل :

الأجدر بك أنت أن تقدم هذا التفسير لي .. فهاتذا
جالس في داري أستمع إلى العذياح ثم أجد من يتحدث
باسمى وصوتى .. تجدى فى غاية الدهشة ..
شريفًا :

لكن لحظة .. أنا واثق من أن من أسمى هو
د. (رفعت إسماعيل) بشحمه ولحمه - إن كان يملك
شئنا غير العظام - ولن أصدق أنه نصاب .. لقد
تقابلنا مرارًا .. وهو من يرد على الهاتف حين أطلبه ..
وهو من توجد صورته فى بطاقته الشخصية .. إذن هذا
هو من اصطلح القوم على تسميته د. (رفعت إسماعيل) ..
رفعت إسماعيل :

هذه - لعمري - قضية فلسفية مهمة : ما هو الدليل
على كينونتى ؟ ما الذى يجعلنى أنا ؟ هناك (رفعت)
يعرفه المستمعون .. وواحد يعرفه طلبته .. وواحد
يعرفه أصدقاؤه .. وواحد يعرفه هو نفسه .. فمن بين
كل هؤلاء هو العجوز (رفعت إسماعيل) ؟

رفعت :

أنا كل هؤلاء معا .. على كل حال لا يوجد سوى
حل واحد لهذا الإشكال .. هو أن نلتقى ..

رفعت إسماعيل :

مستحيل ..

رفعت :

أها هو ذا التراجع .. إذن أنت مجرد نصاب عبقري ..

رفعت إسماعيل :

لا أعنى هذا .. الأمر - ببساطة - هو أن لقاءنا
مستحيل .. لأننا نفس الشخص .. لكننا جانبان
منفصلان متناقضان ..

رفعت :

هل تعنى أننا شخصية مزدوجة ؟ ربما كنت أحمل
بذور الجنون فى روحى .. لكن - مهما بلغ الجنون
من تفاقم - لم ير العلم الشخصية الأخرى تغادر الجسد
لتعمل مستقلة .. إنه أمر شبيه بأن يغادر أنفك وجهك
ليتزره ثم يعود إليه !

رفعت إسماعيل :

هذا هو المفترض .. لكن - فى ظروف غير
مفهومة - لم نعد ذات الشخص ..

شريف :

لا أفهم كل هذا الجدل الميتافيزيقي .. إن هذا المزاح

رفعت :

لحظة يا (شريف) .. أستطيع فهم ما يريد هذا
المعقود قوله .. إن كلا منا ليس شخصا واحدا ..
أحيانا أنت قاس شرير كالشيطان .. وأحيانا أنت رفيق
كملاك .. أحيانا أنت واهن كطفلة رضية .. وأحيانا
أنت أقوى من (طرزان) ..

وفي كل لحظة من حياتك تلعب إحدى هذه الشخصيات
الدور الأكبر .. وفي ظروف معينة - كالتى يزعمها
هذا الأخ - قد تتحرر شخصية من الشخصيات العديدة
لتمارس حياة مستقلة ..

رفعت إسماعيل :

تماما كما تقول .. لست غيبا جدا يا د. (رفعت) ..
شريف :

إن فهذا الأخ يمثل الجانب الإيجابي المنافع الوقح
قليلا فى شخصيتك يا د. (رفعت) .. لكن كل هذا
عسير على التصديق ..

رفعت :

بالتطبع .. لهذا أرجح أن هذا الرجل نصاب جيد

تقليد الأصوات .. وأقترح إنهاء المكالمة حالا ..

رفعت إسماعيل :

مازلت تكابر .. ألم تقل منذ ثوان إنه من المستحيل

أن أعرف كل هذا عنك ؟



رفعت :

إن الشخص الذى يعرف (رضا) و (عزت)
و (ماجى) و (عادل) لقادر على تجميع محاور حياتى ،
واستنباط قصة كاملة ..

رفعت إسماعيل :

ومن هو هذا الشخص الذى يعرف كل هؤلاء ؟

رفعت :

حسن .. لتفترض أنك محق .. فماذا تريد يا سيد
(رفعت) ؟ لا أظن أنك تعشق الثرثرة ..

رفعت إسماعيل :

لا أريد سوى وضع الأمور في نصابها .. ليس
(رفعت إسماعيل) الذي يلتقى به البرنامج هو
(رفعت إسماعيل) الوحيد ..

رفعت :

حسن .. لترتب أفكارنا .. يمكن أن أفترض أنك قريبي ؟

رفعت إسماعيل :

بالطبع لا ..

رفعت :

ذات مرة حدث شيء مماثل مع كهنة (الفودو)
في (انكاربي) ، وقد استطاعوا الحصول على صورة
مجسدة إكتوبلارمية لي من عويناتي التي حصلوا
عليها .. نسخة متقلبة مني ..

رفعت إسماعيل :

لا أدري أهذا ممكن أم لا .. لكنه ليس الحال هنا ..

رفعت :

هل أنت من شعب الأطياف ؟ (أشتا) آخر ؟

أو ربما أنت آت من عالم مواز كالذي تحدث عنه
(سائم) و (سلمى) يوماً ما ؟ ربما أنت نسختي على
ذلك الكوعب .. أو أنت نسخة جينية (كلون) صنعها
أحدهم من إحدى خلايا جسدي .. إن كتاب الخيال
العلمي قد فتلوا هذا الموضوع كتابة ..

رفعت إسماعيل :

لماذا تخلط الأمور ؟ لقد استعرضت كل الاحتمالات
الممكنة وغير الممكنة .. والمعقولة والشاذة .. لماذا
لا يكون الحل الوحيد هو أنني أنت ؟

رفعت :

دعك من الفلسفة .. وقل لي .. ربما أنت نوع
سيامي كان في جسدي وانتزعوه مني في الصغر ليغدو
شخصاً آخر كامل النمو .. ويشبهني في كل شيء ..

رفعت إسماعيل :

أنت إنسان غريب التفكير حقاً .. قلت لك حلاً بسيطاً ..

رفعت :

حسن .. أشكرك على إبلاغك لي أنني اثنان ولست

واحدًا .. هل يمكننا إذن جهاء هذا السخف ؟!

رفعت إسماعيل :

حسن .. أقترح أن نحل هذا الإشكال بطريقة

متحضرة .. واحد فينا فقط يملك الحق في الحياة ..
فالحياة لا تتسع لاثنتين (رفعت إسماعيل) على ما أظن ..
رفعت :

لم لا ؟ إن شفتي واسعة .. وطعامي وفير ..
رفعت إسماعيل :

هذا هو الإشكال الحق .. فأتا أرى أن هذه شفتي
وطعامي أنا .. ولا أحب المزاحمة .. ثم من منا يملك
الحق في العمل والحب والحياة عموماً ؟ لو أننا أردنا
الزواج من (ماجي) مثلاً .. فمن هو الذي سيتزوجها
بالتضبط ؟

رفعت :

أرى وجهة نظرك ..

رفعت إسماعيل :

لهذا كنه سأحرص على أن أجعلك تراسي وتواجهني ..
سيكون موعدنا غداً في داري - أو دورك كما تشاء -
ولحفظتها ستدرك ما أعنيه حين تحدثت عن كوننا ذات
الشخص ..

شريف (في عصبية) :

لكن كل هذا هراء .. إن حديثكما يوشك أن يكون
حديث معترهين في مصحة أمراض عقلية ..

رفعت :

ربما .. لكني لا أبذل أي جهد في هذا الهراء ..
هذا الأخ هو من اتصل وهو المطالب بثبات صدق
ما يزعم .. ثم هو قد قال منذ ثوان إنه لا يستطيع
مواجهتي لأنه أنا .. الآن يؤكد أن المواجهة ممكنة ..
وأنا أحب المتناقضين لأنهم يشعرونني بقوة مركزي ..
رفعت إسماعيل :

سنتحدث عن القوة حين نلتقي .. تكن لتعلم أنني
لا أمزح .. إن لقاءنا سيكون نوعاً من المباراة تنتهي
بالتهاء وجود أحدها .. ويخلو المكان للآخر تماماً ..
وبهذا أسعد .. ولهذا قلبي يطرب ..

رفعت :

هل أحضر شهودي ومسدسي إذن ؟

رفعت إسماعيل :

ليس هذا محتوماً .. هناك أنواع عديدة من
المبارزات ، وسوف ترى كيف تكون مبارزتنا هذه ..
هادئة لكنها فعالة ..

رفعت :

حسن .. سأعد لك غداً شهياً .. إن المرء لا يلتقي
نفسه كل يوم كما تعلم ..

رفعت إسماعيل :

بل أنا من سبغ الغداء .. أنسيت أنها داري أنا ؟
والآن وداعاً أيها الشيخ .. (يضع السماعه) ..
رفعت :

وداعاً .. وبالمناسبة .. أنا كهول ولست شيخاً بعد ..
شريف :

هل ستفسر لنا الآن معنى كل هذا ؟
رفعت :

لو كان لدى تفسير لقلت .. لكني غداً أعرف كل
شيء .. لكن هل لاحظت عبارة (به أسعد ، وله قلبى
يطرب) فى كلامه ؟ عبارة غريبة التركيب حقاً ..
وقد سمعتها من شخص واحد فقط كان يقرأ أوراق
(التاروت) .. وكان يدعى د. (لوسيفر) ..

كان د. (لوسيفر) قارئ أفكار محترفاً .. اعترف
له بهذا .. لكنه كان كذلك شيطانياً زليماً .. وأعتقد أنه
كان يمقتى حقاً ..

شريف :

هل تعتقد أنه هو من .. ؟

رفعت :

لا أدري .. لكن د. (لوسيفر) هو الوحيد الذى

يستطيع معرفة كل ما أعرفه عن نفسي .. واتنى
لإسماعيل

شريف :

هل ستحكي لنا ما سيحدث غداً ؟

رفعت :

بالأكيد .. هذا بالطبع لو ظلت أنا .. من
المستحيل معرفة من يجيء لكم فى المرة القادمة ..
ربما أنا وربما (رفعت إسماعيل) هذا ..

ومن الواضح من الكلام أن تمييزنا مستحيل ..
شريف :

إن كل هذا يصينى بالدوار ..

رفعت :

أنا كذلك .. لكن عزالى الوحيد هو أننى سأعرف
الجواب غداً ..

شريف :

أما نحن فنسنعرفه فى الحلقة القادمة ..

رفعت :

ولربما قلل سرّاً إلى الأبد .. من يدري !؟

★ ★ ★

خاتمة

يقدمها : د. رفعت إسماعيل

وبعد .. لقد وصل الشريط إلى نهايته ، ولم يعد هناك سوى صوت دوران القرص بعد ما خمدت الأصوات الأخرى ..

هذه هي نهاية حلقة الرعب الثالثة ..

وقد سمعنا فيها - وربما استمتعنا كذلك - بعض الحلقات المختارة من هذا البرنامج ، الذي أعتقد أنه كان جيدا .. لكنه توقف لأسباب يطول شرحها .. ليس شخصي من بينها لحسن الحظ .. إن لدى كثيرًا من حلقات هذا البرنامج - حوالي سبعين حلقة - ربما أقدمها لكم يوماً ما ، لو شعرت بأنكم أحببتموها حقاً ..

لقد حاولت تنويع الحلقات التي اخترتها لكم هذه الليلة .. فتجنبت قصص مصاصي الدماء والمذءوبين والموتى الأحياء ..

قدمت لكم تنويعات على : تحضير الأرواح .. أكاذيب

الأطفال .. الساحر الأسود .. أشباح الضحايا العائدة لتملأ الحياة تعقيداً .. بل والتشويق البوليسي الخالي من الميتافيزيقا ..

ستكون المجموعة التالية من الحلقات مختلفة في موضوعاتها .. بعضها أفضل من حلقات اليوم وبعضها أسوأ بالطبع .. لكنها جديدة تماماً ..

لا أدرى متى أقدمها .. لكنها بالتأكيد لن تكون الحلقة الرابعة منعاً للإملال .. وحرصاً على تغيير القالب في كل مرة ..

تسألونني عما فعلته مع (رفعت إسماعيل) الآخر .. يا له من سؤال ! بالطبع تلاقينا وكانت لنا قصة لا بأس بها .. لكنني سأقدمها لكم في كتيب منفصل هو (أسطورة رفعت إسماعيل) .. وملتقى به - بعون الله - في الكتيب الثاني والثلاثين .. وماذا عن حلقة الرعب التالية ؟

لم أعرف بعد كيف ستكون .. لكنها بالتأكيد مسلية وجديدة .. بها عدد لا بأس به من الأشباح والكهنة الحانقين .. والصناديق المغلقة على سر مريع .. والفتيات اللواتي تغطي القشور سيقاتهن .. والأطفال

الباكين الذين تعرف بعد قليل أنهم ماتوا منذ أعوام ..
والقبور المفتوحة .. والمومياءات التي تتوى
خراب بيت من يعبث باكفاتها ..
إن جعبة (رفعت إسماعيل) لا تفرغ أبدا ..
(رفعت إسماعيل) الذي يعتبره البعض معتوها ..
ويعتبره البعض نصابيا .. نكن الجميع يرونه ممسليا ..
كل هذا وأكثر تلقونه في حلقة الرعب الرابعة ..
ولكن هذه حلقة أخرى .

د . رفعت إسماعيل

القاهرة

www.liilas.com/vb3

مع تحيات منتديات ليلاس

الثقافية

المطبعة العربية الحديثة

١٨ ٦٠ شارع ٤٧ - محطة تصفية بالعباسية

الداهية - ٩٨٢٢٧٩٢ - ٢٨٢٥٥٥٤